جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

القَسَم بالتّاء في القرآن الكريم

دراسة بيانيّة

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية – تخصُّص: لغة ودراسات قرآنية

الطالب :

– جرادي نبيل

المشرف:

– الدكتور : العيد حذِّيق

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
ميلود عماره	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
العيد حذِّيق	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
أحمد علي زواري	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1440– 1441هـ/ 2019– 2020

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

القَسَم بالتّاء في القرآن الكريم

دراسة بيانيّة

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية – تخصُّص: لغة ودراسات قرآنية

الطالب : المشرف:

– جرادي نبيل – الدكتور : العيد حذِّيق

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
ميلود عماره	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
العيد حذِّيق	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
أحمد علي زواري	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1440– 1441هـ/ 2019– 2020

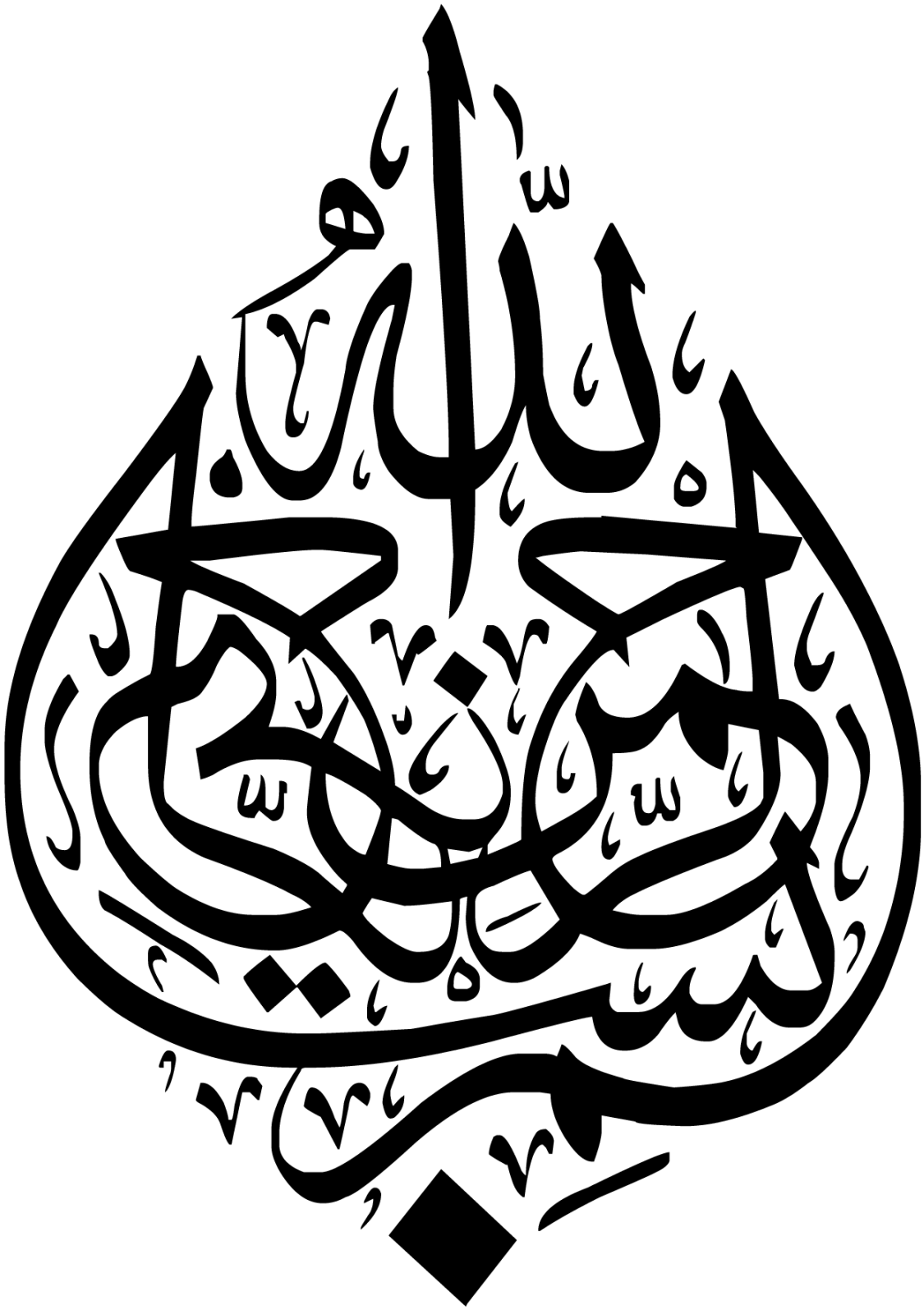

" إنِّي رأيتُ أنَّه لا يَكتُب إنسانٌ كتابا في يومه إلا قال في غَده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يُستَحسَن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العِبَر ، وهو دليل على استيلاء النَّقص على جُملة البشَر ".

القاضي الفاضل عبد الرحيم البَيْساني (ت : 596 هـ)

إهـــــداء

إلى مَن له فضْلٌ عليَّ :

أبي ، أمي هُما الدُّنيا سَويًّا

إلى منِ استوت على عرش فؤادي ، وأعادتني صبيّا

إلى الأحبّةِ أينما حلّوا وكانوا ، فالحبُّ إكْسير لديَّ

إلى الأساتذة الأفاضل والأكارم

هذه ثمارُ أفكاري – رجاءً – لا تردُّوها عليَّ

نبيل

شكر و تقدير

الشـكر لله – تعـالى – أوّلا عـلى توفيقـه وتيسـيره ثمّ إلى الأسـتاذ المشـرف الدكتـور : العيـد حـذّيق عـلى مرافقتـه لنـا بالتوجيهـات اللّازمـة والمفيـدة كـما أشـكر كلّ أسـاتذتي في مـرحلة الماسـتر على تواضعهم ورغبتهم في إفادتنا ونجاحنا .

نبيل

المُلخّص

عنوان بحثي هو : " القسَم بالتّاء في القرآن الكريم دراسة بيانية " .

يطرح هذا البحث الإشكالية الآتية : لماذا اختصّت بعض المواضع في القرآن الكريم بهذه الصيغة من القسَم " تالله " ؟ وما هو سرّ الاستعمال القرآني لها ؟

وللإجابة عن ذلك ، مهَّدتُ بمبحثٍ أولٍ في مفهوم القسم و بنائه النَّحوي . فتبيَّن لي أن المعنى اللغوي للقسم يدور على القطع حسيا – كان – أو معنويا ، أما الاصطلاحي فهو توكيد مخصوص من جملة مخصوصة لأخرى تليها .

أمَّا البناء النحوي للقسم ، فهو جملتان : إحداهما جملة القسم ، والأخرى جملة جواب القسم ، جعلتُ كُلًّا منهما في فرع ، ولخَّصتُ أهمَّ أحكامهما النحوية في نقاط تحت ذَينك الفرعين .

ثمَّ عطفت عليه بمبحثٍ ثانٍ هو لُبُّ البحث ، حيث إنَّني تتبّعت مواضع القسم بالتّاء في القرآن الكريم ، ودرستها في ضوء ما ألمح إليه ابن جني –رحمه الله – في نظريته ؛ من ربط الصوت بالدِّلالة ، وقد خلُصتُ إلى النتائج الآتية :

1– القسَم بالتّاء في القرآن الكريم يأتي لتسفيه العقائد الباطلة .

2– القسم بالتَّاء في القرآن الكريم يأتي لتضعيف رأي وتوهينه .

3– القسم بالتَّاء في القرآن الكريم يأتي دلالة على رقَّة وتفجّعٍ .

والسِّرُّ في ذلك أنَّ صوت التّاء يُوحي بالتّسفيه أو التّضعيف أو الرِّقة كما توصل إلى ذلك بعض المعاصرين الدراسين لأصوات اللغة العربية .

نبيل

Abstract

The title of my research is : " Alqasam bittaa fi Quran alkarim dirasat bayania ", or " Swearing with a letter (attaa) in the Holy Quran graphic study ".

This research poses the following problem: Why are some places in the Noble Quran Specialized out with this formula from the swearing " Tallahi " ? What is the secret of the Quranic use of it ?

To answer that, I provided a first study on the concept of the swearing , its pillars, and its grammatical provisions .

So it became clear to me that the linguistic meaning of the swearing revolves around the parts perceptual – the cutting was – or moral, as for the idiomatic meaning it is a specific assertion from one specific sentence to the next.

As for the composition of the swearing , it is two sentences, one of which is the sentence of the swearing and the other is the answer of the swearing , I made both of them into a branch , and I have summarized their most important grammatical judgments in points under those two branches .

Then I turned to it with a second topic, which is the core of the research, as I followed the positions of the swearing with the " attaa " in the Holy Quran, and studied them in light of what Ibn Jinni – may God have mercy on him – alluded to in his theory of linking sound with significance, and I have concluded the following results :

1– The swearing with the " attaa " in the Holy Quran comes to stultify false beliefs . .

2– The swearing with the " attaa " in the Holy Quran comes to weaken an opinion and wrong it .

3– The swearing with the " attaa " in the Holy Quran is a sign of tenderness and grief .

The secret of this is that the sound of the " attaa " suggests a the stultify , weakness, or tenderness, as some contemporaries who study the sounds of the Arabic language have reached .

Nabil

مقـــدمـــــة

حمدًا لله – تعالى – على ما أَولى وأنعم ، وصلاةً وسلامًا على النَّبي الخاتم الأكرم ، وعلى آلـه وأصـحابه وإخوانـه ؛ مـن سـار علـى نَهجـه الأقـوم ، وبعـد :

نصيبًا وافرًا من آيات الكتاب العزيز حاز القسَم ، حتى إنَّه ليسترعي انتباه الدارس ، ويثير تســاؤل الباحــث عــن أســراره ومعانيــه ومكنوناتــه .

ولئن كان القسم في القرآن كله كذلك ، فإنَّ القسم بالتاء " تالله " أكثر غرابة ، وأدعى إلى شدِّ الانتباه ، وإثارة التساؤل ، بل قد يكون مفتاحا لفهم القسم القرآني عموما بكل حروف القسم ، أو على أقل تقدير داعيا لمزيد من البحث في أسرار سائر حروف القسم ! من هنا جاءت فكرة هذا البحث ، فكانت بذرة في غياهب تربة الذهن ، تنتظر السقي لتنمو وترى النّور، إلى أن كتب الله – تعالى – لها ذلك ، فصارت شجرةً ذات أغصان بعنوانٍ : " **القسَم بالتَّاء في القرآن الكريم – دراسة بيانيَّة –** " .

أهميـــــــة البحـــــــث :

تكمن أهمية البحث في كونه برهنة على ما يؤمن به كل مسلم – إجمالا – من أنّ كل حرف في كتاب الله – تعالى – إلا وقد جاء في مكانه اللائق به ، المناسب تمام المناسبة للمقام ، وهي – بلا شك – دعامة للإعجاز القرآني الخالد والمتجدد ، وهذا كله يزيد المؤمن إيمانا إلى إيمانــه ، ويقينــا إلى يقينــه ، في عصــر تعصــف بأهلــه عواصــف الإلحــاد والتحلــل .

إشـــــــكالية البحـــــــث :

يطرح البحث الإشكالية التالية : لماذا اختصّت مواضع من القسم القرآني بمجيئها بحرف التاء " تالله " ؟ و ما هو السرّ البياني في اختصاص تلك المواضع بهذه الصيغة من القسم ؟

ويدخل تحت هذه الإشكالية التساؤلات التَّالية :

مــا هــو القســم ؟ ومــا هــي أنواعــه ؟ مــا هــو البنــاء النَّحــوي لجملــة القســم ؟ لمــاذا كثُــر القســم في القــرآن الكــريم ؟ .

وهـو مـا سـنحاول الإجابـة عنـه في تضـاعيف هـذا البحـث .

أســـــباب اختيـــــار البحـــــث :

اخـترت هـذا العنـوان لأسـباب ذاتيـة وأخـرى موضـوعية :

أمـــــــا الذاتيـــــــة فهـــــــي :

– التقـرّب إلى الله – تعـالى – بخدمـة كتابـه .

– رغبـتي في مزيـد مـن الـتّفهم لكتـاب الله – تعـالى – ، والوقـوف علـى دفائنـه وأسـراره .

– الوصول إلى إجابات مقنعة للتساؤلات التي ما انفكت تراودني عند مروري بآيات القسم عمومـــا ، وآيـــات القســـم بالتَّـــاء خصوصـــا .

أمـــــــا الموضـــــــوعية فهـــــــي :

– انصراف الدارسين للقسم القرآني عن البحث في هذه الجزئية ، واهتمامهم بأسلوب القسم عموما ؛ أي دون تمييز بين حرف قسم وآخر .

أهـــــــداف البحـــــــث :

لهـــذا البحـــث أهـــداف أجملهـــا في النقـــاط الآتيـــة :

– تفهّم أسرار القسم في القرآن الكريم على وجه العموم .

– تفهّـم سـر اختصـاص مواضـع مـن القـرآن الكـريم بصـيغة القسـم " تـالله " .

– تلمّـس العلاقـة بـين هـذه المواضـع المتشـابهة .

مـــــــــنهج البحـــــــــث :

جاء منهج البحث مزيجا من مناهج ثلاثة هي :

– المنهج الاستقرائي : يتجلَّى في تتبعي لمواضع القسَم بالتَّاء في القرآن الكريم ، وإحصائها وجمعها .

– المنهج الوصفي : يتجلى في نقلي لكلام المفسرين والبلاغيين ، ووصف اتفاقهم أو اختلافهم في آيـــة القســـم وســـياقها .

– المنهج التحليلي : يتجلى في تحديدي لأركان القسم وعناصره ، وشرحي لسياق الآية ، ومن

ثَمَّ استخراجي للقرائن اللفظية أو المعنوية من الآية وسياقها أو من كلام المفسرين والبلاغيين ممّا يخـدم عنـوان الفـرع خاصـة ، وعنـوان المطلـب عامّـة .

الدِّراسات السّابقة :

لم أظفر بدراسة أكاديميّة متخصِّصة في القسَم بالتَّاء ، وما وقفتُ عليه منها عُني بالقسَم على وجه العموم ، إمّا من النّاحية البلاغيّة أو النّحويّة ، وأهمُّها :

- بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان : " **أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية** " ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1411 هـ ، للباحث علي الحـــــارثي .

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وملحق ، وهي تقوم على استقصاء جميع مواضع القسم في القرآن الكريم ودراستها من الناحية البلاغية ، وقد استفدت منها كثيرا في جمع المادة العلمية ، ومعرفة مظانِّها ، إلاّ أنَّه يذكر كل ما تحتمله الآية من النّكات البلاغية ولـو كـان متكلفـا أو مسـتكرها ، أو فيـه مـن تحميـل الآيـة مـا لا تحتملـه .

- بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه بعنوان : " **أساليب القسم والشرط في القرآن الكريم** " ، كليـة اللغـة العربيـة ، جامعـة الأزهـر ، مصـر ، 1395 هـ ، للباحـث أحمـد اللّهيـب .

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وستة أبواب وخاتمة ، وهي دراسة نحوية تدرس القسم منفردا ، ثم الشرط منفردا ، ثم القسم والشرط حين اجتماعهما في كلام العرب عموما ، ثم في القـــرآن خصوصـــا .

وقد استفدت منها في القضايا النّحويّة ، والترجيح بين أقوال النحاة ، وقد شانها كثرة الأخطـاء المطبعيـة نظـرا لقـدم الرسـالة وعـدم إعـادة طبعهـا .

وتتميّز هذه الدراسة بالتخصص في حرف من حروف القسم ألا وهو حرف التّاء .

الـــصعوبات :

واجهتني بعض الصّعوبات ، وأهمها حالة القلق ، وأرقام الوفيات اليومية بسبب الوباء – عجّل الله برفعه – ، وما نتج عنه من إغلاق الفضاءات العامة والمكتبات ، وتعذّر لقيا الأساتذة والزملاء .

كما كنت أجدني مضطرا إلى العودة إلى الجزء النظري ، وتقليصه في أكثر من مرة ، وذلك لقصر الجزء التطبيقي ، نظرا لقلّة مواضع القسَم بالتّاء في القرآن الكريم من جهة ، وعدم تركيز أهل العلم على خصوصية التاء من بين سائر الحروف من جهة أخرى ، وكان ذلك شاقاً عليَّ أن أحذف ما تعبت في جمعه وتنسيقه ، وظننتُ أنه يخدم البحث .

أهـــم مصـــادر البحـــث ومراجعـــه :

اعتمدت في تحبير بحثي هذا على جملة من المصادر أذكر منها :

– إمعان في أقسام القرآن لعبد الحميد الفراهي الهندي ، وهي رسالة – على قصرها – مكثفة ومركزة ،كما تتّسم بالجِدَّة في الإجابة عن إشكالات كثرة القسم القرآني وقسمه تعالى بمخلوقاتـــــه .

– التِّبيان في أيمان القرآن لابن قيم الجوزية ، وهي رسالة أشبه بالتفسير ، لكن في مقدمتها وتضاعيفها بحوث واستطرادات نافعة في موضوع القسَم ،كعادة ابن القيم في سائر تواليفه .

– التّحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ، اعتمدت عليه كثيرا في الجزء التطبيقي .

خِطَّـــــــة البحـــــــث :

رأيت من المناسب أن أسير على الخطة الآتية ؛ وهي : تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمـــــــــة .

أمَّا **المقدِّمة** فقد استهللتها بمدخل ينتهي إلى ضبط عنوان البحث وأهميته ، ثم يليها طرح إشكاليَّةِ البحث ، وبيانُ أسبابِ اختياري له ، وأهدافِه ، والمنهجِ المتبَّع فيه ، ثم عرَّجتُ على الدِّراسات السَّابقة ، وأتبعتها بالصُّعوبات الّتي واجهتني ، مردفا ذلك بأهم مصادر البحث ومراجعه ، لأختمها بعرض موجز لخطة البحث .

أمّا **المبحث الأول** فيمثَّل الجزء النظري من الدراسة وهو توطئة لما بعده ، حيث إنَّني افتتحته بتمهيد موجز في تاريخ القسم عند البشر عامة ، ثمّ أردفته بمطلب أوّل في بيان تعريف القسم لغة واصطلاحا ، وما يتبع ذلك ويتمِّمه من أنواعه ومرادفاته ، ثمَّ مطلب ثان في البناء

النحوي للقسم ويقوم على ركنيين : جملة القسم ، وجملة جواب القسم ، جعلتُهما في فرعين لبيـــان أهـــم أحكامـــه النَّحويـــة .

أمّا **المبحث الثاني** فيمثل الجزء التطبيقي من الدراسة ، وقد افتتحته بتمهيد في الخاصية الصوتية لحرف التاء وإيحائه ، ثم أعقبته بمطلب أول في ما جاء من القسم بالتّاء في القرآن الكريم تسفيها لعقائد المشركين ، ومطلب ثان في ما جاء منه تضعيفا لرأي وتوهينه ، وختمته بمطلب ثالث في ما جاء منه رقَّة شعور وشفقةً من المقسم .

وأنهيت البحث **بخاتمة** سجّلت فيها ما تلخّص عندي من نتائج ، وما أوحي إليه به البحث من توصيات بقضايا جديرة بالاهتمام من الباحثين .

واللهَ – تعالى – أسأل أن يوفقني وإخواني إلى الصواب في الفكر والقول والعمل ، والحمد لله ربِّ العـــــــالمين .

جرادي نبيل

المبحث الأوّل

تعريف القَسَم وبناؤه النَّحوي

تمهيد .

المطلب الأول : تعريف القسم وأنواعه ومرادفاته .

المطلب الثاني : البناء النحوي للقسم .

خلاصة المبحث .

تمهيـــــد

الطبيعة الـمدنيّة للإنسان [1] ألـــجأته إلى ابتكار أسلوب القسم ، لكسب مزيد من الثّقة والاطمئنان من مخاطَبه ، ولا سيّما في مُهمَّات الأمور وعظائمها ، كمعاهدة أو صفقة أو خصومة ونحو لك .

وعادةً ما يَحُفُّ القسمَ ما يزيده غِلَظا ، ويجعله أدخلَ في الجدِّ ، وأكثر عارا عند النَّقض ، كالمصافحة باليمين ، ودق العطر ولمس الجميع له ، أو ذبح شاة ورش دمها على المتقاسمين ، ونحو ذلك من عادات الأمم والشعوب [2].

فالقسَم – إذن – أُسلوب أُمَميٌّ ، عريقٌ في القِدم ، لا يختصُّ بلغة دون أخرى . وأحسب أنّ القسم معلوم المعنى في الجملة ، إلاّ أن ذلك لا يمنع من مزيد التفتيش عن أصل معناه ، ومأخذ اشتقاقه ، وعلاقة المعنيين اللّغوي والاصطلاحي ببعضهما ، والفروق الدقيقة بين مرادفاته ، والوقوف على تصرف العرب في القسم بأنواع من التّصرف ،كلّ ذاك – بلا شـــــك – لـــــه أثـــــره في تعميـــــق فهـــــم معنـــــاه .

وقد جعلتُ كلَّ ذلك في مطلبين في كلٍّ منها فروع على النَّحو الآتي :

المطلب الأول : تعريف القسم وأنواعه ومرادفاته .

المطلب الثاني :البناء النحوي للقسم .

فأقول – وبالله التوفيق – :

[1]) ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، دار يعرب ، ج 1 ، ط 1 ، دمشق ، 1425 هـ ، ص 137 .

[2]) ينظر : عبد الحميد الفراهي ، إمعان في أقسام القرآن ، المطبعة السلفية ، (دط) ، القاهرة ، 1349 هـ ، ص 14 .

المطلب الأوّل : تعريف القسم وأنواعه ومرادفات

بين المعاني اللغوية والاصطلاحية وشائج ، ولا يتمُّ فهم الثَّاني – حَقَّ الفَهْمِ – إلَّا بالنَّظر في الأوَّل ، وهو ما سنفعله في الأسطر الآتية :

الفرْع الأوّل : تعريف القسم لغةً

تَكادُ تتَّفِقُ مَعاجِمُ اللُّغةِ العَرَبيَّةِ على مَعاني مادَة " قسم " ، وقَدْ أَوْعب ابن مَنْظور (ت : 711 هـ) [1]تَصاريفَ الكَلِمة في كِتابه لِسان العَرب ، بِما يَجْعَلُنا نَسْتَغْني بِه عَنْ غَيْرِه . وسَأَتَتبَّعُ تِلْك المَعانيَ ثُمَّ أَنْظُر في عَلاقَة بَعْضِها بِبَعْضٍ ، وذلِكَ كَالآتي :

1– تَجْزِئُة الشَّيء :

يقول ابن منظور (ت : 711 هـ) : " القَسْمُ مصدر قَسَمَ الشيءَ يَقْسِمُه قَسْماً ، فانْقَسَم والموضع مَقْسِم مثال مَجْلِس . وقَسَّمَه : جزَّأَه وهي القِسْمةُ . والقِسْم ، بالكسر : النَّصيب والحَظُّ ، والجمع أَقْسام ، وهو القَسِيم ، والجمع أَقْسِماء وأَقاسِيمُ ، الأَخيرة جمع الجمع ...[2]".

وقَدْ أَطَال الاسْتِشْهادَ مِنَ القُرْآن ، وكَلامِ النَّبي ﷺ ، وكلامِ العَرَب على هَذا المَعْنى أَكْثرَ مِنْ غَيْرِه مِنَ المَعاني الآتِيَة ممَّا يَدُلُّ على أَهَمِّيَّتِهِ .

2– الهُدْنة بين الأعداء :

---

[1]) هو محمد بن مُكرّم أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرّويفعى الإفريقي (630 هـ – 711 هـ) : الإمام اللّغوى الحجّة ، من نسل رويفع بن ثابت الانصاري ، ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ، ثمّ وَلِيَ القضاء في طرابلس ، وعاد إلى مصر فتُوفِيَ فيها . يُنْظَر : عبد الرحمن السّيوطي ، بُغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة ، المكتبة العصرية ، ج 1 ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، ص 248 .

[2]) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ج 12 ، ط 1، بيروت ، 1300 هـ ، ص 478 . للمزيد ينظر : إسماعيل بن حماد الجوهري ، صِحاح اللّغة وتاج العربية ، دار العلم للملايين ، ج 5 ، ط 2 ، بيروت ، 1399 هـ ، ص 2010 ، وينظر كذلك : أحمد ابن فارس ، مقاييس اللغة ، دار الفكر ، ج 5 ، (د ط) ، دمشق ، 1399 هـ ، ص 86 .

قال ابنُ مَنْظور (ت : 711 هـ) : " يقول ابنُ الأَعرابي (ت : 231 هـ) [1]: القَسَامةُ الهُدْنة بين العَدُوّ والمسلِمين ، وجمعها قَسامات " [2] .

يُشير إلى أنَّ ابن الأعرابي (ت : 231 هـ) انفرد بنقل هذا الحرف ، وقوله : " بين العَدُوِّ والمسلمين " قصد مجرد التَّمثيل ، والمعنى بين الأعداء عموما ؛ مسلمين كانوا أو كفَّارًا . ويظهر أنَّ هذا المعنى يرجع إلى المعنى الرَّابع الآتي ، وهو القَسَم بمعنى اليَمين ؛ لأنَّ الهُدْنةَ عَهْدٌ وتَأْكيدٌ ، فَهيَ تَتَضمَّن مَعْنى اليَمين ، وإنْ لم تَتَضمَّن حُروفَه .

3– الرَّأْي :

ويقول أيضا : " والقَسَم الرَّأْي ، وقيل : الشَّكُّ ، وقيل : القَدَرُ ؛ وأَنشد ابن بَرِّي (ت : 582 هـ) [3] في القَسْم : الشَّكِّ لعدي بن زيد [4] [من الخفيف] :

ظِنّةٌ شُبِّهَتْ فَأَمْكَنَها القَسـ ـمُ فأَعْدَتْهُ والخَبِيرُ خَبِيرُ [5]

وقَسَم أَمرَه قَسْماً : قَدَّره ونَظَر فيه كيف يفعل ، وقيل : " قَسَمَ أَمرَه لم يَدْرِ كيف يَصنع فيه ! " ، يُقالُ : " هو يَقْسِم أَمره قَسْماً " ؛ أَيْ : يُقَدِّرهُ ، ويُدَبِّره ، ويَنظُرُ كيف يعمل فيه .

---

[1]) هو محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي ، أبو عبد الله (150 هـ – 231 هـ) : راوية، ناسب، علّامة باللّغة . من أهل الكوفة . يُنْظَر : السّيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة ، ج 1 ، ص 105 .

[2]) ابن منظور : لسان العرب ، ج 12 ، ص480 . ينظر كذلك : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط 8 ، بيروت ، 1426 هـ ، ص 1149 .

[3]) هو عبد الله بن برّي بن عبد الجبار المقدسي الأصل المصري ، أبو محمد ، ابن أبي الوحش (499 هـ – 582 هـ) : من علماء العربية النّابهين ، ولد ونشأ وتُوفِيَ بمصر ، وولي رياسة الدّيوان المصري . يُنْظر : السّيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة ، ج 2 ، ص 34 .

[4]) هو عَدِي بن زيد بن حمّاد بن زيد العِبادي التّميمي (ت : نحو 35 ق هـ) : شاعر، من دهاة الجاهليين . ينظر : عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الشّعر والشّعراء ، دار المعارف ، ج 1 ، ط 1 ، القاهرة ، (دت) ، ص 225 .

[5]) البيت في ديوانه ص 84 ، من قصيدة مطلعها : أَرَواحٌ مُودَّعٌ أم بُكُورُ لك فاعلم لأيِّ حالٍ تَصِيرُ . ورواية الديوان : فَعَدَّاهُ بدل فأعدته . والظّنة التّهمة ، يقول : إن الملك الذي سجنه اتهمه ، ومكّن التّهمةَ القسم وهو الشك ، فحمله ذلك على الاعتداء ، والله تعالى خبير بحقيقة الأمر . ثمَّ إنَّ للّغويين كلاما في الاحتجاج بشعر عدي بن زيد ، يُنْظَر : شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، ج 1 ، ط 11، القاهرة ،(دت) ، ص 393 ، 394 .

قـــال لبيـــد (ت : 41 هـ) [1] [مـــن الطّويـــل] : .

فَقُـــولا لَـــهُ إن كَـــانَ يَقْسِـــمُ أَمْـــرَه أَلَمَّـــا يَعِظْـــكَ الـــدَّهْرُ ؟ أُمُّـــكَ هابِـــلُ ! [2]

ويقال : فلان جَيِّد القَسْمِ أَي : جيِّد الرأْي . ورجل مُقَسَّمٌ : مُشتَرك الخواطِر بالهُموم " [3].

ويَغْلِبُ على الظَّنِّ أنَّ هذا المعنى تولَّد من الاسْتِقْسام بالأَزْلام الَّذي كان شائِعا في الجاهليَّة ، ونَهى اللهُ – تعالى – عَنْهُ في قولـــــه : ﴿ **وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ** ...﴾ [المائـــدة : 03] .

وتوضيح ذلك أنّ المستقسم بالأزلام يعتريه الشَّكُّ في رأيه ، وجدوى ما يفعله ، فتجده يعيد النَّظر ، ويُقَلِّب الفِكْر والتَّقدير ، فانتقل اسم القَسَم بمعنى الاستقسام إلى الشَّكِّ والرَّأي والتَّقْـــــــدير والله أعلـــــم .

ثمّ إنَّ الاستقسام نفسَه يعود إلى المعنى الأول ؛ إذ هو طلب المرء قِسْمَه أي حظَّه بالأزلام في زعمه ، والقَسَم فيه معنى التَّجزئة ، فعاد المعنى الرّابع إلى الأوَّل .

4– اليمين :

ثم قال : " والقَسَمُ ، بالتَّحريك : اليمين ، وكذلك المُقْسَمُ ، وهو المصدر مثل المُخْرَج ، والجمع أَقْسام . وقد أَقْسَم بالله ، واسْتَقْسَمه به ، وقاسَمَه : حلَف له . وتَقاسمَ القومُ : تحالفوا ، وفي التنزيل : ﴿ **قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ** ... ﴾ [النّمل :49] . وأَقْسَمْتُ : حلفتُ ، وأَصله من القَسامة ... وقاسَمَهما أَي : حلَفَ لهما ... والمُقْسَمُ : القَسَمُ . والمُقْسَمُ

---

[1]) هو لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامري (ت : 41 هـ) : أحد الشّعراء الفرسان الأشراف في الجاهليّة ، من أهل عالية نجد ، أدرك الإسلام ، ووفد على النبي – ﷺ – ، ويُعَدُّ من الصّحابة . ينظر : ابن قتيبة ، الشّعر والشعراء ، ج 1 ، ص 274 .

[2]) البيت في ديوانه ص 131 ، من قصيدة يرثي بها النعمان بن المنذر ، مطلعها :

ألا تَسْألانِ المرْءَ ماذا يُحَاوِلُ أنَحْبٌ فيُقضَى أمْ ضَلالٌ وباطِلُ .

وأُمُّكَ هابل أي ثكلى ، وهو دعاء عليه .

[3]) ابن منظور ، لسان العرب ، ج 12 ، ص 480 ، 481 . ينظر كذلك : الجوهري ، صحاح اللغة وتاج العربية ، ج 5 ، ص 2010 ،

:الـمَوْضِع الـذي حُلِـف فيـه .والـمُقْسِم :الرّجـل الحـالف، أَقْسَـم يُقْسِـمُ إِقْسـاماً ... " [1].

ويوضّـح ابـن يعيش (ت : 643 هـ) [2] كيـف تفـرّع القَسَـم مـن القَسَـامة فيقـول : " وأصـلُه مـن القَسـامة ، وهـي الأَيْمـان ، قيـل لهـا ذلـك لأنّهـا تُقْسَـم علـى الأَوْليـاء في الـدّم " [3] .

تَتَّفِقُ الـمعاجِمُ على أَنَّ القَسَم بِمَعْنى اليَمينِ مَأْخُوذٌ مِنَ القَسَامةِ ، وَهِيَ أَيْمانٌ تُقسَمَ عَلى أَهْلِ القَتِيلِ ، يُؤَدُّونَها ، وَيَأْخُذُونَ الدِّيةَ ، ثُمَّ أُطلِقَ القَسَمُ على كُلِّ يَمِينٍ . وَإِذا لاحَظْنا أنَّ القَسامَةَ نَفْسَها مَأْخُوذَةٌ مِنَ القَسْم بِمَعْنى تَجْزِئَةُ الشَّيْءِ ، فَقَدْ عـادَ هَذا أَيْضًا إلى الـمَعْنى الأَوَّلِ .

وأمَّا مَن رَأَى أنَّها تَرْجِعُ إلى القَطْعِ [4]، وَأَنَّ القَطْعَ يُسْتَعْمَلُ لِنَفْيِ الشَّكِّ والرَّيبِ ، فَلَيْسَ مُخالِفًا لِـمَا ذَكَرْنَاهُ ، لِأَنَّهُما مُتَلازِمانِ ؛ إِذْ لا تَجْزِئَةَ لِشَيْءٍ إِلَّا بِنَوْعٍ مِنَ القَطْعِ ؛ حِسِّيًا كَانَ أَوْ مَعْنَوِيًّا ، والله أعلم .

5- الجمال والحُسْن :

ويقول أيضا : " والقَسَامُ الجَمالُ والحُسْنُ ؛ قال بِشْرُ بنُ أَبي خازِمٍ (ت نحو : 22 ق هـ) [5] [من الوافر] : ..... يُسَنُّ على مَراغِمِها القَسامُ [6] .

---

[1]) محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، ج 12 ، ص480 . ينظر كذلك : الجوهري ، صحاح اللغة وتاج العربية ، ج 5 ، ص 2011 ،كما ينظر : ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج 5 ، ص 86 .

[2]) هو يعيش بن علي بن يعيش ، أبو البقاء ، موفق الدين الأسدي ، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (553 هـ – 643 هـ) : من كبار العلماء بالعربية . موصلي الأصل . ينظر : علي بن يوسف القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، دار الفكر العربي ، ج 4 ، ط 1 ، القاهرة ، 1406 هـ ، ص 45 .

[3]) ابن يعيش، شرح المفصل في صناعة الإعراب للزمخشري ، دار الطباعة المنيرية ، ج9 ، مصر ، (دت) ، ص 90.

[4]) ينظر : عبد الحميد الفراهي ، إمعان في أقسام القرآن ، ص21 .

[5]) بشر بن (أبي خازم) عمرو بن عوف الاسدي ، أبو نوفل (ت نحو : 22 ق هـ) : شاعر جاهلي فحل من الشّجعان ، من أهل نجد ، من بني أسد ابن خزيمة . ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج 1 ، ص 270 .

[6]) صدره كما في ديوانه ص 125 : وَأَبْلجَ ، مُشْرِقِ الخَدَّينِ، فَخْمِ .....

وهو من قصيدة له مطلعها : أَحقٌّ ما رأيتَ أَمِ احتِـــلامُ أمِ الأهوال إذ صَحْبي نِيامُ .

ومعنى يُسَنُّ : يُصَبُّ ، ومَرَاغِمِهَا : الأنف وما حوله ، والقَسَام : الحُسْن ، يقول : إنَّها يُصَبُّ على وجهها الحُسْنُ والجَمال .

وفُلانٌ قَسِيمُ الوَجْهِ ، ومُقَسَّمُ الوَجْهِ ... وفي حديث أُمِّ معبد [1] : قَسِيمٌ وَسِيم [2] . القَسامةُ : الحُسْن . ورجل مُقَسَّم الوجهِ ؛ أَي : جميل كلُّه ، كأَنَّ كلّ موضع منه أَخذ قِسْماً من الجمال . ويقال لحُرِّ الوجه قَسِمة ، بكسر السين ، وجمعها قَسِماتٌ . ورجل مُقَسَّمٌ وقَسِيم ، والأُنثى قَسِيمة ..." [3].

وقد جعل ابنُ فارس (ت : 395 هـ) [4]هذا المعنى أصْلا مُسْتَقِلًّا ، وقابل به المعنى الأوَّل الَّذي جعله أصلا أوَّل [5] ، لكن عند التأمُّل نجد أنَّ هذا المعنى يرجع إلى المعنى الأوَّل ، لأنَّ الحُسْن أو الجمال حظوظ تُقَسَّم ، ويُجَزِّئها الخالق على عباده – تبارك وتعالى – .

فقد تبيَّن ممَّا تقدَّم أن مادة " قَسَمَ " مَهْمَا تَصَرَّفت فإنَّها ترجع إلى معنى تجزئة الشَّيء أو القطع ، والقَسَم في عنوان بحثنا المراد به –كما هو ظاهر – المعنى الفرعي الرّابع ؛ أي اليمين والحَلِف .

الفرع الثَّاني : تعريف القسم اصطلاحا

يقول سيبويه (ت : 180 هـ) [6] : " اعلم أنَّ القَسَم تَوْكيدٌ لِكلامِك " [7] . وقريب منه قول أبي علي الفارسي (ت : 377 هـ) [1] : " القَسَم جملة يُؤَكَّد بها الخبر " [2] .

---

[1]) هي أم مَعْبَد بِنْت خالد الخزاعية الكعبية ، واسمها عاتِكَة . ينظر : علي بن محمد ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الكتب العلمية ، ج 7 ، ط 1 ، بيروت ، 1415 هـ ، ص 386 .

[2]) هو حديث طويل في سياق هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة ، وفيه أنه مرَّ بخيمة بها امرأة تُدعَى أمَّ معبد ، ثمَّ وصفته لزوجها وكان غائبا لم يشهد مقدمه وصفا حسنا . ينظر : الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، ج 3 ، ط 1، بيروت ، 1411 هـ ، ص 10 .

[3]) ابن منظور، لسان العرب ، ج 12 ، ص 482 . ينظر كذلك : الجوهري ، صحاح اللغة وتاج العربية ، ج 5 ، ص 2011 .

[4]) هو أحمد بن فارس بن زَكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين (329 هـ- 395 هـ) : من أئمة اللّغة والأدب . ينظر : القفطي ، إنباه الرواه على أنباء النحاة ، ج 1 ، ص 127 .

[5]) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج 5 ، ص 86 .

[6]) هو عَمْرو بن عثمان بن قُنْبُر الحارثي بالولاء ، أبو بِشْر ، الملقّب بسيبويه (148 هـ – 180 هـ) : إمام النُّحاة ، وأوّل من بسط علم النحو ، ولد في إحدى قرى شيراز ، وقدم البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه . ينظر : القفطي ، إنباه الرواه على أنباء النّحاة ، ج 2 ، ص 346 .

[7]) سيبويه ، الكتاب ، مكتبة الخانجي ، ج 3، ط 3، القاهرة ، 1408 هـ ، ص 104 .

أما الزّمخشري (ت : 538 هـ) [3] فقد كان أكثرهم تفصيلا حين قال : " هو جملة فعلية أو اسمية ، تُؤَكَّد بها جملة مُوجَبة أو مَنفية ، نحو قولك : حلفتُ بالله ، وأقسمتُ ، وآلَيْت ، وعَلِم اللهُ ، ويعلم الله ، ولعَمْرك ، ولعَمْر أبيك ، ولعَمْر اللهِ ، ويمين اللهِ ، وايمُنُ اللهِ ، وايمُ الله ، وأمانة الله ، وعَليَّ عَهْدُ الله لأفْعَلنَّ أو لا أفعلُ . ومن شأن الجملتين أن تتنزَّلا منزلةَ جملة واحدة كجملتي الشَّرط والجزاء ، ويجوز حذْفُ الثّانية ها هنا عند الدِّلالة جوازَ ذلك ثَمَّةَ . فالجملة المُؤَكِّدة بها هي القَسَم ، والمُؤَكَّدة هي المُقْسَم عليها ، والاسْم الّذي يُلصَق به القَسَم ليُعظَّم به ويُفَخَّم هو المُقسَم به . " [4] .

وقد زاد ابن عقيل (ت : 769هـ) [5] قَيْدا لم يذكُره غيرُه ، فقال : " وهو جملة تؤكِّد ما تلاها من جملة خبرية غير تعجبية " [6] ، فزاد " غير تعجبيَّة " ، فكأنَّه يرى أن الجملة التَّعَجُبيَّة خبريَّة ، فاحتاج إلى استثنائها ، لأنَّها لا تكون جوابا للقسم اتِّفاقا . ومن رأى أنَّها إنشائية لم يحتج إلى استثنائها [7].

وأما عند الفقهاء فنجد القرافي المالكي (ت : 684 هـ) [8] يقول : " ... يَقُولُ فُضَلَاءِ

---

[1]) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل ، أبو علي (288 هـ-377 هـ) : أحد الأئمة في علم العربية . ينظر : القفطي ، إنباه الرواه على أنباء النحاة ، ج 1 ، ص 308 .

[2]) أبو علي الفارسي ، الإيضاح العضدي ،كلية الآداب ، ط 1 ، الرياض ، 1389 هـ ، ص 263 .

[3]) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم (467 هـ - 538 هـ .) : من أئمّة العلم بالدِّين والتَّفسير واللُّغة والأدب ، ولد بخوارزم وتوفي بها . ينظر : القفطي ، إنباه الرواه على أنباء النحاة ، ج 3 ، ص 265 .

[4]) الزّمخشري ، المُفصَّل في صنعة الإعراب ، مكتبة الهلال ، ط1، بيروت ، 1993 م ، ص 482 .

[5]) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهامشي ، بهاء الدين ابن عقيل (694 هـ - 769 هـ) : من أئمّة النّحاة ، من نسل عقيل ابن أبي طالب ، مولده ووفاته في القاهرة . ينظر : السّيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة ، ج 2 ، ص 47 .

[6]) ابن عقيل ، المساعد على تسهيل الفوائد ، دار الفكر ، ج 2 ، ط 1 ، دمشق ، 1400 هـ ، ص 302 .

[7]) ثمَّ وجدتُ كلاما نحوه لأبي حيَّان قال فيه : " واحترز بقوله : غير تعجبيَّة من التّعجبيَّة ، فإنَّها لا تقع مقسمًا عليها ، وهي خبريَّة عند كثير من أصحابنا ." ينظر: أبو حيان ، ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب ، مكتبة الخانجي ، ج4 ، ط4 ، القاهرة ، 1418 هـ ، ص 1763 .

[8]) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن ، أبو العباس ، شهاب الدِّين الصِّنهاجي القرافي (ت : 684 هـ) : من علماء المالكية ، نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) ، وإلى القرافة (المحلّة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة ،

النُّحَاةِ : الْقَسَمُ جُمْلَةٌ إنْشَائِيَّةٌ يُؤَكَّدُ بِهَا جُمْلَةٌ خَبَرِيَّةً . " [1] ، فهو اعتمد على نقل كلام النّحاة .

كما نُلاحِظ أنَّ الجُرجاني (ت : 816 هـ) [2] اقتصر على تعريف القَسَم المُوجِب للكفّارة ، وهو ما كان بالله تعالى أو أحد أسمائه ونحوه ، يقول : " وفي الشَّرع : تقوية أحد طرفي الخبر بذكر الله تعالى أو التَّعليق ، فإنَّ اليمين بغير الله ذكر الشَّرط والجزاء ، حتَّى لو حلف أن لا يحلف ، وقال : إن دخلت الدَّار فعبدي حرٌّ ، يحنث ، فتحريم الحلال يمين ، كقوله – تعالى – : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ** ﴾ إلى قَوْلِهِ – تَعَالى – : ﴿ **قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْۚ** ﴾ [التَّحريم :1 ، 2] " [3] ، وهو تعريف غير جامع .

والمُلاحَظُ تَطابُقُ التَّعارِيفِ على أنَّ القَسَم جملة مُؤَكِّدة للجملة التي بعدها ،كما يُلاحظ أنَّ الفقهاء في مجملهم اعتمدوا تعريف النّحاة .

ومنه أخْلُص إلى تعريف مختار فأقول : القَسَم : " توكيد مخصوص من جملة إنشائية مخصوصة ، لجملة خبرية – غير تعجبيَّة – تَلِيها " .

وقيد " مخصوص " لإخراج سائر أنواع التَّوكيد كتكرار الجملة ، وهو ما يعرف بالتَّوكيد اللَّفظي ، وقيد " غير تعجبيَّة " إشارة إلى أنَّ المُقْسَم عليه لا يكون جملة تعجبيَّة .

والقسَم بالتّاء هو : " توكيد مخصوص باستعمال حرف التّاء ولفظ الجلالة (تالله) ، لجملة خبرية – غير تعجبيَّة – تَلِيها " .

– الفرع الثالث : أنواع القسم

يتنوَّع القسَم إلى :

1– صريح .

وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة . ينظر : ابن فرحون المالكي ، الدِّيباج المُذَهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دار التراث ، ج 1 ، (دط) ، دار التراث ، (دت) ، ص 236 .

[1]) القَرافِي ، الفُروق ، دار السَّلام ، ج 1، ط 1 ، القاهرة ، 1421 هـ ، ص 100 . وَقَدْ نَقَلَ الإِجْمَاعَ على أَنَّ القَسَمَ إنْشاءٌ .

[2]) هو علي بن محمد بن علي ، المعروف بالشَّريف الجرجاني (740 هـ – 816 هـ) : فيلسوف ، من كبار العلماء بالعربية ، ولد في تاكو (قرب استراباد) ، وتوفي بشيراز . ينظر : محمد بن عبد الرحمن السّخاوي ، الضّوء اللّامع في أعيان القرن التّاسع ، دار الجيل ، ج 5 ، (دط) ، بيروت ، (دت) ، ص 328 .

[3]) الجرجاني ، التّعريفات ، دار الفضيلة ، (دط) ، القاهرة ، (دت) ، ص 218 .

2- غيـــــر صـــــريح

يقول ابن مالك (ت : 672 هـ) [1] : " وهو صريح ، وغير صريح ، وكلاهما جملة فعلية أو اسمية " [2] . ثمّ شرح كلامه بقوله : " القسم الصَّريح ما يُعْلَم بمجرَّد لفظه كونُ النَّاطق به مُقْسِما ، كأحلف بالله ، وأنا حالف بالله ، ولعَمْر الله ، وايمُن الله . وغير الصَّريح ما ليس كذلك نحو علم الله ، وعاهدت ، وواثقت ، وعليّ عهد الله ، وفي ذمّتي ميثاق . فليس بمجرد النّطق بشيء من هذا الكلام يعلم كونه قسما ، بل بقرينة ،كذكر جوابٍ بعده نحو : عليَّ عهد الله لأنصرنَّ دينه ، وفي ذمّتي ميثاق الله تعالى لا أعين ظالما... " [3].

وقد جاء في القرآن النَّوعان من القسم ، أعني الصَّريحَ ، وغير الصَّريحَ ، إلَّا أنَّ النَّوع الأوَّل كان أكثرَ وُرُودا ، وسأكتفي بثلاثة أمثلة عن كلّ واحد منهما :

أ- أمثلة القَسَم الصَّريح في القرآن :

- قوله - تعالى - :﴿ **وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ** ﴾ [يونس : 53]

- وقوله – تعالى - : ﴿ **ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام : 23]

- وقوله – تعالى - : ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [الحجر : 72] .

ب – أمثلة القسم غير الصّريح في القرآن :

- قوله – تعالى - : ﴿ **إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ** ﴾ [المنافقون : 01] .

- قوله - تعالى - : ﴿ **إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ**

---

[1]) هو محمد بن عبد الله ، ابن مالك الطّائي الجيّاني ، أبو عبد الله ، جمال الدّين (600 هـ - 672 هـ) : أحد الأئمَّة في علوم العربيّة . ولد في جيّان (بالأندلس) ، وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها . ينظر : السُّيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة ، ج 1 ، ص 130 .

[2]) ابن مالك ، تسهيل الفوائد وتقريب المقاصد ، دار الكتاب العربي ، (دط) ، بيروت ، 1387 هـ ، ص 150 .

[3]) ابن مالك ، شرح تسهيل الفوائد وتقريب المقاصد ، دار هجر ، ج 3 ، ط 1 ، مصر ، 1410 هـ ، ص 195 .

﴿ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : 119] .

- قوله – تعالى -: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمـــــران : 187] .

إنَّ تَقْسِيمَ القَسَم إلى صَريحٍ ، وغير صريحٍ تَقْسيمٌ صَحيحٌ ظاهرٌ ، ولذلك لا نَجِدُ فيه نزاعـــا أو اختلافـــا ، كَمَـــا أنَّ أمثلتَـــهُ مـــن القُـــرآن ، ولُغَـــة العَـــرَبِ كَثـــيرةٌ .

الفرع الرابع : مصطلحات مرادفة[1] للقسم

يقـــــول علـــي الحـــارثي [2] : " لـهـــذا الضَّـــرْبِ مـــن التَّـــوكيـــدِ مُصْـــطَلَحـاتٌ شـاع إطْـــلاقُـــها عَـــلَيْـــهِ عـنْـــد العُلَمـــاء ، فقـــد دلُّـــوا عـــليه بلفـــظ القسَـــم أو الاقتســـام ، والـحـــلف ، واليمـــيـــن ، وسُـــمِّـــيَ عـنـد بعـــضهم بالشَّهـــادة ، والأليَّـــة ،

[1]) في إثبات التَّرادُف أو نفيِه خِلافٌ بيْن اللُّغويين والأُصُوليِّين ، يُنْظَر : ابن فارس ، الصَّاحبي ، مكتبة عيسى البابي وشركاؤه ، القاهرة ، ص 114 ، و : السُّيوطي ، المُزْهِر في علوم اللُّغة وأنواعِها ، منشورات المكتبة العصرية ،ج 2 ،(دط) ، بيروت ، 1406 هـ ، ص402 . وفي الصفحة 405 منه نقل السيوطي عن العلامة عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع قولَه : حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال : كنتُ بمجلس سيف الدولة بحلَب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه : أحفظ للسيفِ خمسين اسماً ، فتبسّم أبو علي وقال : ما أحفظ له إلا اسماً واحداً ، وهو السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهَنَّد والصَّارِم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفاتٌ ؛ وكأنّ الشيخ لا يفرقُ بين الاسْمِ والصِّفة !

[2]) هو باحث أكاديمي سعودي لا يزال على قيد الحياة .

والـــعـــــهـــد ، والـــعـــقـــد ، والنَّـــــذر ، والـــــدُّعـــــــاء [1]، والـــشّـــــرط " [2] .

هَذا وَيَغْلِبُ عِندَ النُّحاةِ والبَلاغِيِّينَ اسْتِعْمالُ لفْظِ القَسَمِ ، وعِندَ الفُقَهاء اسْتِعْمالُ لَفْظ اليَمين ، والحلِف ، وأمَّا المُفَسِّرونَ فَيَسْتَعْمِلونَ لَفْظَ القسَم في القَضايا النَّحْويَّة أو البَلاغيَّة ، واليَمـــينَ ، والحلِـــفَ في بَيَـــانِ الأَحْكـــام الشَّـــرعيَّة [3] .

وخِتامًا فَإِنَّ القَسَمَ يَرْجِعُ أَصْلُ مَعْناهُ إلى القَطْعِ ، وهُو اصْطِلاحًا تَوْكيدٌ مَخْصُوصٌ من جُمْلَةٍ إنشائيّة لِأُخْرى خبريّة تَلِيها ، ولَهُ عِدَّةُ أَسْماءٍ ، وإنَّما تعدَّدَتْ أسماؤُهُ لكَثْرَةِ جَرَيانِهِ عَلَى أَلْسِنَتِهِم.

---

[1]) أي الدُّعاء على النَّفس بالمكروه ، إن كان كاذبا في خبر أو وعد ،كقول الأَشْتَر النَّخَعي [من الكامل] :

بَقَّيْتُ وَفْرِي وانحَرَفْتُ عنِ العُلَى ولَقِيتُ أَضْيافي بِوَجْـهِ عَبُوسِ

إن لم أَشُنَّ على ابنِ حَرْبٍ غارةً لم تَحْلُ يومًا من نِهَابِ نُفُوسِ

قال المَرْزُوقي : " ...اللَّفْظُ لَفْظُ الخَبَر ، وظاهِرُهُ الدُّعاء ، ومَحْصولُهُ القَسَم " . ينظر : المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1424 هـ ، ص 111 .

[2]) علي الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، (أطروحة ماجستير : دراسة بلاغية) ، قسم الدِّراسات العليا ،كلية اللُّغة العربية ، جامعة أمِّ القرى ، السُّعوديَّة ، 1411 هـ ، ص 3 . وأكثرها شيوعا بعد القسم : الحلف ، واليمين ، والأليَّة ، والنَّذْر.

[3]) يُنْظَر : علي الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، ص 5 .

المطلـب الثَّـاني : البنـاء النحـوي للقسـم .

يَشْـــتَمِلُ القَسَـــمُ علـــى رُكْنَـــيْن :

1- جُـــــمْلَةُ القَسَـــــم .

2- جـمْلَةُ جَوَابِ القَسَـمِ ، وقـد تُسَـمَّى أَيْضًـا الـمُقْسَمَ عَلَيْـهِ ، وتَتَكَـوَّنُ مِـنْ عُنْصُـرَيْنِ :

أ- حُرُوفٌ مَخْصُوصَةٌ تَرْبِطُ الـجُمْلَتَيْنِ ؛ وهي الحروف الموطِّئة للقسم .

ب – جُمْلَـــةٌ مُقْسَـــمٌ عَلَيْهـــا تَلِـــي الحَـــرْفَ الـــرَّابطَ .

ولِكُـــلٍّ مِنْهُمـــا أَحْـــوالٌ تَعْتَوِرُهـــا ؛ مِـــنْ ذِكْـــرٍ أو حَـــذْفٍ أَوْ تَقْـــديرٍ أو غَـــيْرِ ذَلِـــكَ .

وَسَـــأُفْرِدُ لِكُـــلِّ رُكْـــنٍ فَرْعًـــا لِبَيـــانِ أَحْوالِـــه ، وَذَلِـــكَ كَـــالآتي :

الفـــرع الأوَّل : جملـــة القســـم

– أوَّلاً : جُملَـةُ القَسَـم هِـيَ أَوَّلُ الجُمْلَتَـيْنِ ، وهِـيَ جُمْلَـةٌ إِنْشَـائِيَّةٌ [1] .

– ثانيًا : قَدْ تُحْذَفُ جُمْلَةُ القَسَمِ كُلُّهَا ، ولا يَبْقَى مِنَ القَسَم إِلَّا جَوابُهُ ، وَأَمَارَةُ ذَلِكَ هِي الحُرُوفُ الـمَخْصُوصَةُ الرَّابِطَةُ لِلْجُمْلَتَيْنِ الـمُفِيدَةُ لِلتَّوْكِيد [2] ، قَالَ سِيبَوَيه (ت : 180 هـ) : " ...وَسَأَلْتُهُ [3] عَنْ قَوْلِه : لَتَفْعَلَنَّ إِذا جاءَتْ مُبْتَدَأَةً لَيْسَ قَبْلَها ما يُحْلَفُ بِه ؟ فَقَالَ : إِنَّما جاءَتْ على نِيَّةِ اليَمِين ، وإِنْ لَمْ يُتَكَلَّمْ بَالـمَحْلُوف به ... ومِثْلُ ذَلكَ : ﴿ ... **لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ**... ﴾ [الأعراف : 18] إِنَّما دَخَلَتِ اللَّامُ على نِيَّة اليَمِين " [4] .

– ثالِثا : لا تَخْلو جُمْلَة القَسَم مِنْ أَن تَكُونَ اسمِيَّةً أو فِعْلِيَّةً ، فالأُولَى ما ابتَدَأَتْ بِاسْمٍ صَرِيحٍ في القَسَم أَوْ مُتَضَمِّناً لِـمَعْناهُ ،كقوله – تعالى – : ﴿ **لَعَمْـرُكَ إِنَّهُـمْ لَـفِي سَـكْرَتِهِمْ**

---

[1]) تَقَدَّمَ في الصَّفْحَةِ 9 في الهامش رقم 1 عن القرافي أنَّه نَقَلَ الإجْماعَ على ذلك .

[2]) والدَّليل على أنَّ في مثل هذا الأسلوب قَسَمَا مُقَدَّرا ، ما جاء عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله – ﷺ – : " قال سليمان بن داود : **لأطوفنَّ** الليلة بمائة امرأةٍ ، تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غَلاماً يُقاتِل في سبيل الله ، قال : ونَسِيَ أن يقول " إن شاء الله " ، فَأَطاف بِهِنَّ ، قال : فَلَم تَلِدْ مِنْهُنَّ إِلَّا واحِدةٌ نِصْفَ إنسانٍ ، فقال رسول الله – ﷺ – : " لو قال إن شاء الله **لم يَحْنَثْ** ، وكانَ دَرَكًا لِحاجَتِهِ " . ينظر : أحمد ، المسند ، الرسالة ، ج 13 ، ط 1 ، بيروت ، 1421 هـ ، ص 142 .

[3]) أَيْ الخَلِيلَ بنَ أحمد الفرَاهِيدي شَيْخَه .

[4]) سيبويه ، الكتاب ، ج 3 ، ص 106 ، 107 .

يَعْمَهُــونَ ﴾ [الحجر : 72] ، والأخرى ما ابْتَدَأَتْ بِفِعْلٍ صَرِيحٍ في القَسَم أو مُتَضَمِّنا لِمَعْناهُ ،كقوله- تعالى - : ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ** ... ﴾ [الأنعام : 109] ، ولأجل اختلاف بنائهما ، ميَّزتُهما في أحوالهما النَّحوية على النَّحـــــــو الآتي :

أ – جملـــة القســـم الاســـمية :

لها أحْـوالٌ أُلَخِّصُـها في النِّقـاط الآتِيَـة :

1– قَدْ تَدْخُلُ لامُ الابْتِداءِ على الاسْمِ الصَّرِيحِ في القَسَم كَقَوْلِهِ [من الطويل] :

لَعَمْــرُكَ مــا تَــدْرِي الضَّــوارِبُ بِالحَصــى وَلا زَاجِــرَاتُ الطَّــيْرِ مــا اللهُ صــانِعُ [1]

2– يُحْذَفُ الخَبَرُ وُجُوبًا في جُمْلَة القَسَم الاسْمِيَّة الَّتي تَبْتَدِئ بِاسْمٍ يَكُونُ نَصًّا في اليَمينِ ، أَمَّا إذا لَمْ يَكُن نَصًّا في اليَمين ، فَلَكَ إثباتُه أوحَذْفُه ، وإلى ذلك أشار ابنُ مالك (ت : 672 هـ) في الخُلاصَة بِقَوْله [من الرَّجَز] :

وَبَعْــدَ لَــوْلا غَالِبًــا حَــذْفُ الخَبَــرْ حَــتْمٌ ، وَفِي نَــصٍّ يــَمِينٍ ذا اسْــتَقَرْ

قَالَ ابْنُ النَّاظِم (ت : 686 هـ) [2] – شَارِحًا بَيْتَ وَالِدِهِ – : " ... نَحْوَ: لَعَمْرُكَ لَأَفْعَلَنَّ ، أَيْ لَعَمْرُكَ قَسَمِي ، إِلَّا أَنَّ هَذا الخَبَرَ لا يُتَكَلَّمُ به ، لأنَّه مَعْلُومٌ ، وَجَوابُ القَسَم سادٌّ مَسَدَّهُ . ومِثْلُه : أَيْمُنُ اللهِ لَيَقُومَنَّ ، ولَوْ كَانَ المُبْتَدأُ مُرادًا به القسمُ ، وَلَيْسَ مِنَ الصَّرِيحِ فِيهِ جَازَ حَذْفُ الخَبَرِ ، وَإِثْبَاتُه ، نَحوَ : عَهْدُ الله لَأَفعَلَنَّ ، فَهَذا عَلَى الحَذْفِ ، وإنْ شِئتَ قُلْتَ : عليَّ عَهدُ اللهِ بِإِثبَــــــــاتِ الخَــــــــبَرِ " [3] .

---

[1]) البَيْتُ للبيد بن ربيعة العامري من قصيدة له في رثاء أخيه مطلعها :

بَلِينا ومَا تَبلَى النُّجُومُ الطَّوالِعُ وتَبْقَى الجِبالُ بَعْدَنَا والمصانِعُ

والضَّرْبُ بالحصى ، وزَجْرُ الطَّيرِ من الكِهانَة ، ويُرْوَى البَيْتُ بِلَفْظ : الطَّوارقُ بالحصى . ينــظر : ديوانه ، دار المعرفة ، ط 1 ، بيروت ، 1425 هـ ، ص 57 .

[2]) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ، أبو عبد الله ، بدر الدين (ت : 686 هـ) : نحوي هو ابن ناظم (الألفية) ، من أهل دمشق مَوْلدا ووفاة . ينظر : السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج 1 ، ص 225 .

[3]) ابن الناظم ، شرح ألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1420 هـ ، ص 88 .

ب – جملـــة القســـم الفعليـــة :

وتَتَكَـــوَّنُ مِـــنْ ثَلاثـــةِ عَناصِـــر [1] :

1 – فِعْـــــلُ القســـــم .

2 – حَـــــرْفُ القســـــم .

3 – اسْـــمٌ مُقْسَـــمٌ بـــه .

وَلِكُلٍّ مِنْها أَحْوالٌ ، مِنْ حَيْثُ الذِّكْرُ أو الحَذْفُ أو التَّقْديرُ أو غَيرُ ذلك ، أُلَخِّصُها في نِقاطٍ كمـــا يلـــي :

1– أحـــوال فعـــل القســـم :

– المُرادُ بِفِعْل القَسَم ما اسْتَعْمَلَتْه العَرَبُ نَصًّا في القَسَم ، فيُفْهَمُ القَسَمُ مِنْ لَفْظه لا من ضِمْنه وهُو الصَّريـحُ نحْو : أُقْسِـــمُ ، وأَحْـــلِفُ ، وأَقْسَـــمْتُ ، وحَلَفْـتُ ، فالأوَّل كَقَوْله – تعالى – : ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُـوتُۚ** ...﴾ [النَّحل : 38] ،

والثَّاني كَقَوْله – تعالى – : ﴿ **يَحْلِفُـونَ بِـٱللَّهِ مَـا قَـالُواْ** ... ﴾ [التوبة : 74] " [2].

– يحذفون فعل القسم كثيرا ، اتِّكالاً على العلم به ، يقُولُ ابنُ يَعِيش (ت : 643 هـ) : " ... حذفوا فعل القسم كثيرًا للعلم به والاستغناء عنه ، فقالوا : باللَّهِ لأقومنّ ، والمراد : أحلفُ بالله . قال الله تعالى : ﴿... **بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِـيمٌ** ﴾ [لقمان : 12 – 13] في أحد الوجهَيْن هو القسَمُ ، وفي الوجه الآخر يتعلّق بقوله :

﴿.. **لَا تُشْرِكْ** ..﴾ [لقمـان : 12] ..." [3] .

ويَكُـونُ الحَـذْفُ تـارةً وُجوبًـا ، وتـارةً جَـوازًا ، وذلـك كالتَّـالي :

---

[1]) ذَكَر صاحبُ رسالةِ أساليبُ القسم والشَّرط في القرآن الكريم هذه العناصر قبل أن يميِّز بين نَوْعي جملة القسم الاسمية والفعلية ، وهو غير دقيق لأنَّ لِكُلٍّ مِنْهُما عناصِرُه تخصّه ، ينظر : أحمد اللّهيب ، أساليبُ القسم والشَّرط في القرآن الكريم ، (أطروحة دكتوراه : دراسة نحوية) ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 1395هـ ، ص 4 .

[2]) أحمد اللّهيب ، أساليب القسم والشرط في القرآن الكريم ، ص 4 ، 5 .

[3]) ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، ج 5 ، ص 249 .

* **وُجُوبا** : إذا كان حَرْف القسم واواً أو تاءً ، فلا يَصِحُّ : أُقْسِمُ واللهِ ، ولا أُقْسِمُ تاللهِ .
* **جَوازا** : إذا كان حَرْف القسم باءً ، فيَصِحُّ أن تَقُول: أُقْسِمُ بالله ،كما يَصِحُ أيضا : بالله .

2- أحـــوال حـــروف القســـم :

– حُرُوفُ القسم مِنْ حُروف الجر ، وأَشْهَرُها الباءُ ، ثُمَّ الواوُ ، ثُمَّ التَّاء ، والباء " أصل حروف القسم ، ولذلك فَضَلَت سائرَ حروفه بثلاثة أمور :

– **أَحَدُها** : أَنَّها لا يَجِبُ حَذْفُ الفِعْل مَعَها ، بَلْ يجُوز إظْهارُه ، نحو: أُقْسِمُ بالله .

– **والثَّـــاني** : أنَّهـا تَـدْخُل علـى المـُضْمر ، نحـو: بِـكَ لَأَفْعَلَـنَّ .

– **والثَّالِـثُ** : أنَّها تُسْتَعمَل في الطَّلَب [1]وغَيْره ، بخِلاف سائر حُرُوفِه . فإنَّ الفِعْلَ مَعَها لا يَظْهَر، ولا تجُرُّ المُضْمَرَ، ولا تُسْتَعمَل في الطَّلَب . وزادَ بَعْضُهم رابِعاً ؛ وهو أنَّ الباء تكون جارَّةً في القسم وغَيْرِه ، بخِلافِ واو القَسَم وتَائِهِ ، فإنَّهُما لا تَجُرَّانِ إلَّا في القسم " [2] .

– لَيْستِ الواوُ بَدَلًا مِنَ الباءِ ، ولا التَّاءُ بَدَلًا مِنَ الواو عِنْد أبي حَيَّانٍ (ت : 745هـ) [3]، خِلافًا لِكَثيرٍ مِنَ النُّحاةِ ، ومَنْ تَبِعَهُم كابن القيم (ت : 751هـ) [4]، والفـــراهي [5](ت : 1349 هـ) [6] ،

---

[1]) وهُو ما يُسَمَّى بالاسْتِعْطاف ،كقول الشَّاعر [من البسيط] :

باللهِ – يا ظَبَياتِ القاعِ – قُلْنَ لَنا لَيْلايَ مِنكُنَّ أَمْ لَيْلى مِنَ البَشَرِ .

[2]) الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1413 هـ ، ص45 .

[3]) هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجيَّانى ، النفزي ، أثير الدين ، أبو حيان (654 هـ - 745 هـ) : من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات . ينظر : السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج 1 ، ص 280 .

[4]) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، شمس الدين (691 هـ – 751 هـ) : من أركان الاصلاح الإسلامي ، وأحد كبار العلماء ، مولده ووفاته في دمشق . ينظر : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب ، دار ابن كثير ، ج 8 ، ط 1 ، دمشق – بيروت ، 1406 هـ ، ص 288 .

[5]) هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي ، الأنصاري الفراهي الأعظمكدهي ، المعروف بحميد الدين الفراهي (1280 هـ - 1249 هـ) : أحد علماء الهند المشهورين . ينظر : عبد الحي الحسني ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، دار ابن حزم ، ج 8 ، ط 1 ، بيروت ، 1420 هـ ، ص 1267 .

[6]) ينظر: ابن القيم ، التبيان في أيمان القرآن ، دار عالم الفوائد ، (دط) مكة ، (دت) ، ص7 ، والفراهي ، إمعان في أقسام القرآن ، ص22 .

قـــال أبـــو حَيَّان (ت : 745 هـ) : " وزَعَم بَعْضُهُم أنَّ (الواو) بَدَلٌ مِنَ الباء ، وبَعْضُهُم أنَّ (التَّاء) بَدَلٌ مِنَ الواو... ولا يَقُومُ دَليلٌ على صِحَّة شَيْءٍ مِنْ هذه المَذاهِبِ " [1] .

ويقُول المُرادي (ت : 749 هـ) [2]: " وقَوْلُهم : إنَّ التَّاء بَدَلٌ مِنَ الواو، والواو بَدَلٌ مِنَ الباء ، استَضْعَفَه بَعْضُهم [3]. قال : ولا يَقُوم دَليلٌ على صِحَّتِه " [4].

– تَخْتصُّ التَّاء بِدُخُولها على لَفْظ الجَلالَة " الله " ، يَقول سِيبَويه (ت : 180 هـ) : " ... ثمَّ التَّاء ، ولا تَدْخُل إلَّا في وَاحِد وذلك قَوْلُك :... وتالله لأكيدنَّ أصنامكم " [5]، وقال في موضع آخر : "... التَّاء لا تَجرُّ في القَسَم ولا في غَيْره إلاّ في " الله" ، إذا قُلْتَ : تَاللهِ لأَفْعَلَنَّ " [6] .

وقَد حَكَموا بالشُّذوذ على ما نقَلَه أبو الحسن الأخفْش (ت : 215 هـ) [7]من قَوْلهم : " تَرَبِّ الكَعْبة " ، وقولهم : " تربِّي " ، و " تالرَّحمن " [8].

– يُحْذَف حَرْفُ القسَم ، فَيَنْتَصِبُ المُقْسَم به على نَزْعِ الخافِض ، يَقُول سِيبَويه (ت : 180هـ) : " واعْلَم أنَّك إذا حَذَفْتَ مِنَ المَحْلُوف بِه حَرْفَ الجَرِّ نَصَبْتَهُ ،كَما تَنْصِب حَقًّا إذا قُلْتَ : إنَّكَ ذاهِبٌ حَقًّا . فَالمَحْلُوف بِه مُؤَكَّدٌ بِه الحَديثُ كَما تُؤَكِّدُه بالحقِّ ، ويُجَرُّ

---

[1]) أبو حيَّان ، ارتشافُ الضَّرَب مِنْ لسان العرب ، ج 4 ، ص 1772 .

[2]) هو الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي المصري ، أبو محمد ، بدر الدين ، المعروف بابن أم قاسم (ت : 749 هـ) : مفسر أديب ، مولده بمصر وشهرته وإقامته بالمغرب . ينظر : السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج 1 ، ص 517 .

[3]) يُشيرُ إلى شَيخِهِ أبي حيَّان ، ويُؤَكِّدُه اتّحاد الدّليل مع تقارب كبير في عبارتيهما .

[4]) المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص57 .

[5]) سيبويه ، الكتاب ، ج 3 ، ص 496 .

[6]) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 59 . أما قول ابن عاشور : " وَالتَّاءُ فِي تَاللَّهِ حَرْفُ قَسَمٍ عَلَى الْمُخْتَارِ " فيوهم أنّ ثمت خلافا ، ولم أقف على من حكى ذلك ، والله أعلم . ينظر : ابن عاشور ، التّحرير والتّنوير ، الدار التونسية ، ج 13 ، (دط) ، تونس ، 1984 هـ ، ص 29 .

[7]) هو سَعيدٌ بن مَسْعَدة المجُاشِعي بالولاء ، البَلْخي ثُمَّ البَصْري ، أبو الحسن ، المعْروف بالأخفش الأوسط (ت : 215 هـ) : نحوي ، عالمٌ باللُّغة والأدب ، من أهل بلخ ، سكن البَصْرة ، وأخذ العربيَّة عن سيبويه . ينظر : القفطي ، إنباه الرواه على أنباء النّحاة ، ج 2 ، ص 36 .

[8]) ينظر : المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص57 ،كما ينظر : ابن يعيش ، شرح المفصّل للزمخشري ، ج 4 ، ص 492 .

بِحُروفِ الإِضافَة كَما يُجَرُّ حقٌّ إذا قُلْتَ : " إنَّك ذاهِبٌ بِحَقٍّ " ، وذلك قَوْلُكَ : " الله لأفعلنَّ " . وقَال ذُو الرُّمَّة [1][من الطَّويل]:

أَلا رُبَّ مَنْ قَلْبِي لَهُ اللهَ ناصِحُ ومَن قَلْبُهُ لي في الظِّباء السَّوانِحِ [2]

وقَالَ الآخَرُ [من الوافر] :

إذَا مـــا الخُبْـــزُ تَأْدِمُـــهُ بِلَحْـــمٍ فَـــذَاكَ أَمانـــةَ اللهِ الثَّريـــدُ [3]

فأَمَّـــا تَـــاللهِ ، فَـــلا تَـــحْذَفُ مِنْـــهُ التَّـــاءُ إذا أَرَدْتَ مَعْـــنى التَّعَجُّـــبِ ... " [4].

وإِنَّما اسْتَثْـنى التَّـاءَ الَّـتي فِيهـا مَعْـنى التَّعَجَّـب ، لأَنَّـهُ لا يَبْقـى مـا يَـدُلُّ على مَعْـنى التَّعَجُّـبِ بَعْـــــدَ الحَذْف ، بِخِلاف الـمَعْنى الَّذي تَشْتَرك فِيـهِ حُروفُ القَسَم وهو التوّكيد ، فَإِنَّ في السِّـياق مـا يَـدُلُّ عَليـهِ بَعْـــــدَ الحَـذْفِ .

– ويَجُوزُ حَذْفُ حَرْفِ القَسَم ، وجَرُّ الـمُقْسَمِ به ، وفي ذلك يَقُولُ سِيبَويه (ت : 180هـ) : " ومِنَ العَرَب من يَقُول : " اللهِ لَأَفْعَلَنَّ " ، وذلك أنَّه أَراد حَرْفَ الجَرِّ ،وإِيَّاه نَوى، فَجَاز حَيْثُ كَثُرَ في كَلامِهِم ، وحَذَفوهُ تَخْفيفًا وهُم يَنْوُونَه ،كما حُذِفَ رُبَّ في قَوْله [من الطويل] :

و وجَدَّاءَ ما يُرْجَى بِها ذو قَرابَةٍ لِعَطْفٍ ، وما يَخْشَى السُّماةَ رَبيبُها [5]

---

[1]) هو غَيْلانُ بنُ عُقْبَة بنُ نَهيس بنُ مَسْعود العَدَوي ، من مُضَر ، أبو الحارث ، ذو الـــــرُّمَّة (77 هـ – 117 هـ) : شاعر ، من فُحول الطَّبقة الثَّانية في عصره . ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج 1 ، ص 515 . وإِنَّما لُقِّبَ بِـــذي الرُّمَّة (والرُّمَّة القِطْعَة مِنَ الحَبْل بَالِيَةٌ) لِقُوله في أُرْجُوزته يَصِفُ وَتِدا [من الرجز] :

لم يَبْقَ مِنْها أَبَدَ الأَبِيـــدِ ... غَيرُ ثَلاثٍ ماثِلاتٍ سُودِ

وغيرُ مَشْجُوجِ القَفا مَوتُودِ ... فِيهِ بَقايا رُمَّةِ التَّقْليـــدِ

يَعْني ما بَقِي في رَأْس الوَتِدِ من رُمَّةِ الطُّنُبِ المَعْقُودِ فيه . يُنظَرُ: ابن منظور، لسان العرب ،ج 12 ، ص 252 .

[2]) يُنْظَر: أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، شرح ديوان ذي الرُّمَّة ، مؤسَّسة الإيمان ،ج 3 ، ط 1 ، جُدَّة ، 1402 هـ ، ص 1860 .

[3]) البَيْتُ مِن شَواهِد سِيبَويه الخَمْسينَ الَّتي لم يُعْرَفْ قائلُها ، بَلْ قَدْ قِيل إنَّها مِنْ وَضْعِ النُّحاةِ ، فالله أعلم .

[4]) سيبويه ، الكتاب ، ج 3 ، ص497 ، 498 .

[5]) البيت منسوب للعنبري في كتاب سيبويه . قال النَّحَّاس : هذا حُجَّةٌ لإِضْمار رُبّ كأنَّه قال: وربّ جداء . والجدّاء : المفازة التي لا شيء فيها . ومعنى البيت : من سلك تلك المفازة فلا يرج بها قريبا لأنّها لا تسلك ولا يخاف وحشها أحداثها . والسّماة : الصَّيَّادون ، يعني إنَّ وحوشها لا تخاف الصَّيَّادين لأنَّها لا تسلك . ينظر : محمد بن محمد حسن شُرَّاب ، شرح الشّواهد الشّعرية في أمّات الكتب النّحوية ، ج 1 ، ط 1، مؤسسة الرسالة ، 1427 هـ ، ص187 .

إنَّما يُريدون : ربَّ جَدَّاءَ ... " [1].

2 – أحـــوال المقســـم بـــه :

– يَـــأْتي الـمُقْسَمُ بِه اسمـــًا ظاهِـــرًا ، وهُـــــو الأكْثُـــــــــر كمـــــــا في قوله – تعالى – : ﴿ ... **وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام : 23] وغَيْرِها ، وهُو الوَارِدُ في القُرْآن ،كَما يَأْتي ضَمِيرًا ، وذلك مَعَ حَرْفٍ واحِدٍ مِنْ حُروفِ القَسَم ؛ وهُو الباء ،كَمَا في قَوْل الشَّـــــاعِر [مـــــن الـــــوافر] :

رَأى بَرْقًـا فأوْضَـعَ فـوقَ بَكْـرٍ فـلا بِـكَ مـا أسـالَ ولا أغامـا [2] .

وقَـــوْل الآخَـــر [مـــن الـــوافر] :

أَلَا نَادَتْ أُمامَةُ باحْتِـــــمالِ لِتَحْزُنَني ، فَلا بِكِ مَا أُبـــالِي[3]

– وَيَذْكُرون الـمُقْسَم به تـارةً ، ويَحْذِفونَه أُخْرى ، يَقُـولُ ابـنُ يَعِيش (ت : 643 هـ) : " ورُبَّمـا حَـذَفوا الـمُقْسَم بِـه ، واجْتَـزَؤُوا بِدِلالَـة الفِعْـل عَلَيْـهِ ، يَقُولُـون : " أُقْسِـم لَأَفْعَلَـنَّ " ، و" أَشْـهَدُ أَفْعَلَنَّ " ، والـمَعْنى : أُقْسِمُ بِاللهِ أو بالَّذي شَاءَ في أُقسِمَ بِه [4]. وإنّما حُذِفَتْ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمالِ ، وعِلْمِ الـمُخاطَبِ بِالـمُرادِ . قَال الشَّاعِرُ [من الطويل] :

---

[1]) سيبويه ، الكتاب ،ج 3 ، ص 498 .

[2]) البيت لعمر بن يربوع بن حنظلة في نوادر أبي زيد ، وأوضع : أسرع . والبَكْر : الناقة . وقوله : « بك » الباء للقسم ، والكاف ضمير الخطاب ، مقسم به ، وهو الشّاهد : على أنّ أصل حروف القسم الباء ، بدليل اختصاصها بالدخول على الضمائر، لأن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها أما الواو ، فلا تقول معها : « وك، وه » . ينظر : محمد بن محمد حسن شُرَّاب ، شَرْحُ الشَّواهِدِ الشِّعرية في أُمَّاتِ الكُتُبِ النَّحْويَّة ،ج3 ، ص 154. وقَوْلُه : أغاما : أصاب السَّماء بِالغَيْم ، وللبيت قِصّة تنظر في : الجاحظ ، الحيوان ، دار الكتب العلمية ، ج 1، ط 2 ، بيروت ، 1424 هـ ، ص 121 .

[3]) البيت لِغُوِيَّة (أو عُوَيَّة) بن سُلْمى كما في لسان العرب ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج 11 ، ص 405 . والاحتمال : الرَّحيل . المعنى : إنَّ المحبوبة أميمة قد أعلنت أنَّها سترحل وتتركني ، وقد أعلنت ذلك لتحزنني ، ولكنِّي أقسم إنَّني لا أبالي ولا أكترث لما أعلنت . والشَّاهد فيه قوله : " فلا بك " حيث دخلت " الباء " على مضمر، والتَّقدير " فلا وحقِّك ما أبالى " . ينظر : إميل بديع يعقوب ، تحقيق شرح المفصَّل لابن يعيش ، ج 4 ، ص 491 .

[4]) قال المحقِّق هنا (إميل بديع يعقوب) : كذا في الطبعتين ، ولعلّ الصواب : " أو بالَّذي شاء في أَنْ أُقْسِمَ به " .

فأُقْسِمُ أَنْ لَوِ التَقَيْنَا وَأَنْتُمُ لَكَانَ لَكُمْ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمُ [1]... " [2].

الفـرع الثـاني : جملـة جـواب القسـم

جَوابُ القَسَم جُمْلَةٌ تَلي القَسَمَ ، وَهِي الَّتي يُرادُ تَوْكيدُها بِه ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّها تَتَأَلَّفُ مِنْ عُنْصُـــــرَيْنِ :

أَحــــدُهُما : حَــرْفٌ رابِــــطٌ .

والآخَــــر : مُقْسَـــمٌ عَلَيْـــهِ .

وَلِكُــلٍّ مِنْهُمــا أَحْـوالٌ أُلَـخِّصُها فِيمـا يَـأْتي :

1- أحـوال الجملـة المقسـم عليهـا :

- قَدْ تَكُونُ اسْمِيَّةً أو فِعْلِيَّةً ، فَالأُولى مِثْلَ قَوْلِهِ – تَعَالى – : ﴿ **لَعَمْـرُكَ إِنَّهُـمْ لَـفِي سَـــــــــــــــكْرَتِهِمْ**

---

[1]) قاله المسيّب بن علس ، يخاطب بني عامر بن ذهل بن ثعلبة ، والمسيّب : هو خال الأعشى ميمون ... والمسيِّب : اسم فاعل لقّب به لأنه كان يرعى إبل أبيه فسيّبها ، وقيل : إن اسمه زهير ... ومعنى البيت : لو التقينا متحاربين لأظلم نهاركم فصرتم منه في مثل الليل . ينظر : محمد بن محمد حسن شُرَّاب ، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية ، ج 3 ، ص 61 . والشّاهد فيه قوله : " وأقسم أنّ لو التقينا " حيث حُذفِ المُقْسَم به لكثرة الاستعمال ، وعلم المخاطب بالمراد . ينظر : إميل بديع يعقوب ، تحقيق شرح المفصل لابن يعيش ، ج 5 ، ص 249 .

[2]) ابن يعيش ، شرح المفصّل للزّمخشري ، ج 5 ، ص 249 . وَزَعَمَ بعض المعاصرين أنَّ العـرَب حِينَمَا تَحْلِفُ ، وتَحْـذِفُ المُـقْسَمَ بِه فَإِنَّ المحْـلوفَ بِه الـمُقدَّرُ هُو " الله " ! فَإِنْ أَرادَ بِالعَـرَبِ عَرَبَ الجاهِلِيَّةِ فَفِيهِ نَظَرٌ ؛ فَإِنَّ حَــــلِفَهُــم بِغَيْرِ اللهِ كَثــيْرٌ ،كَما حَــكَاهُ عَنْهُم أَبُو إِسْحاقِ النَّجيرَمي (ت : 355 هـ) في كتابه أيمان العرب في الجاهلية ، وإذا كانَ كذلك فَإِنَّ الحَمْلَ على الكَثيرِ عِنْد التَّقْديرِ أَوْلى ، وإِنْ أراد بِهِم عَـــــرَبَ الإِسْلامِ فَوَجيهٌ ، وَلِذلِك حَكى ابن يعيش (ت : 643 هـ) عَنِ الفُقَهاءِ قَوْلَهُمْ : " لو قال : " أُقْسِم " ، أو " أَحْلِفُ "، أو " أَشْهَدُ " ، ثُمَّ حَنَثَ ، وَجَبَتْ عَلَيْهِ الكَفّارةُ ؛ لِأَنَّهُ يُصْرَفُ إلى مَعْنى أُقْسِمُ بِاللهِ وَنَحْوِهِ ، إذْ كَان يَلْزَمَ المُسْلِمَ إذا حَلَفَ أَنْ يَحْلِفَ بِاللهِ . وَلِذَلك قال النَّبيُّ – ﷺ – : " مَن كانَ حالفا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أو فَلْيَصْمُتْ " ، وقال القلقشندي : " وكان أكثر حلف عرب الحجاز باللّات والعزّى " ينظر : أحمد اللّهيب ، أساليب القسم والشّرط في القرآن الكريم ، ص 5 ، و : أبو إسحاق النّجيرمي ، أيمان العرب في الجاهلية ، المطبعة السلفية ، ص 23 ، و : أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العلمية ، ج 13، (دط) ، بيروت ، (دت) ، ص 206 ، و : صحيح البخاري ، دار طوق النجاة ، ج 3 ، ط 1 ، بيروت ، 1422 هـ ، ص 180 ، و : ابن يعيش ، شرح المفصّل للزّمخشري ، ج 5 ، ص249 ، 250 .

يَعْمَهُونَ ﴾ [الحِجْر : 72] ، والأُخْرى مِثْلَ قَوْلِه – تَعَالى – : ﴿ **قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ** ﴾ [يوسف : 91] .

– قَدْ تَكُونُ مُثْبَتَةً أو مَنْفِيَّةً ، فَالأُوْلى مِثْلَ قَوْلِه – تَعَالى – : ﴿ **وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ** ﴾ [يونس : 53] ،

والأُخْرى مِثْلَ قَوْلِه – تَعَالى – : ﴿ **ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام : 23] .

– قَدْ تَكونُ خَبَرِيَّةً أو إنْشائِيَّةً ، مِثالُ الخَبَرِيَّة : قَوْلُهُ – تَعَالى – : ﴿ **قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ** ﴾ [يوسف : 95] ، وَمِثالُ الإنْشائِيَّة قَوْلكَ : باللهِ لَتُجِيبَنَّ ، وبِرِبِّكَ هَلْ فَعَلْتَ كَذا ، وعَمْرَكَ اللهَ لا تَفْعَلْ . ويُسَمَّى هَذا النَّوْعَ بِالقَسَمِ الاسْتِعْطافي أو قَسَمِ السُّؤال [1] .

– قَدْ تُحْذَفُ جُمْلَةُ جَوابِ القَسَم جَوازًا أو وُجُوبًا [2]، إذا كان في الكَلام ما يُدُلُّ عليها ، إذْ إنَّ " جُمْلَةُ جَوابِ القَسَم كَجوابِ الشَّرْط ، فَكَما أنَّ جَوابَ الشَّرطِ يُحْذَفُ لِوُجُودِ ما يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَكَذَلِكَ يُحْذَفُ جَوابُ القَسَم لِوُجودِ ما يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَإذا سَأَلَ سَائِلٌ : هَلْ قَرَأَ مُحَمَّدٌ القُرْآنَ ؟ فَالجَوابُ : نَعَمْ وَاللهِ ، فَجَوابُ القَسَمِ مَحْذُوفٌ أَيْ : وَاللهِ قَرَأَهُ ، قَالَ – تَعالى – : ﴿ **قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ ...** ﴾ [الأنعام : 30] أَيْ : إنَّهُ لَحَقٌّ ." [3].

---

[1]) جَرْيًا على أنَّ هَذا الأُسْلوبَ يُسمَّى قَسَما ، وهُو قَوْل جُمْهور النُّحاة ، وزَعَم بَعْضُ النُّحاة أنَّهُ نَوْعٌ من التَوْكيدِ لا قَسَمٌ ، بِناءً على أنَّ جُمْلةَ جَوابِ القَسَمِ لا تَكون إلَّا خَبريَّة . يُنظَر : أحمد اللَّهيب ، أساليبُ القسم والشَّرط في القرآن الكريم ، ص126 ، ويُشْبِهُ أَن يَكونُ الخِلافُ بَيْنَهُم لَفْظيًّا ، والله أعلم .

[2]) أما الوجوب ففي حالتين هما :

الأولى : في حال اجتماع الشّرط والقسم ، وتقدم الشرط ، فيغني جواب الشرط عن جواب القسم ، وذلك في قولك : إن تحسن عملك والله يحبك الناس ، ولخص ابن مالك ذلك بقوله [من الرجز] :

واحذف لدى اجتماع شرطٍ وقَسَم ... جواب ما أخرت فهو مُلْتَزَم

والأخرى : في حال ما تقدّم عليه أو اكتنفه ما يغني عن جوابه كقولك : زيد قائم والله ، أو زيد والله قائم .

أما الجواز ففي ما سوى ذلك . ينظر : أحمد اللَّهيب ، أساليب القسم والشرط في القرآن الكريم ، ص 124 .

[3]) أحمد اللَّهيب ، أَساليبُ القَسَم والشَّرْط في القرآن الكريم ، ص 123 .

وَأَمَّا ما قَالُهُ الزَّجَّاجِي (ت : 377 هـ) [1]: " وَلا بُدَّ لِلْقَسَم مِنْ جَوابٍ ، لأَنَّهُ بِه تَقَعُ الفائدَةُ ، وَيَتِمُّ الكَلامُ ، وَلأَنَّهُ هُو المَحْلوفُ عَلَيْهِ ، وَمُحالٌ ذِكْرُ حَلِفٍ بِغَيْر مَحْلوفٍ عَلَيْهِ " [2] ، فَلا يُعارِضُ ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، إِذْ مَقْصودُهُ حَذْفُ الجَوابِ مِنْ غَيْر وُجُود قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ ،كَقَوْلِكَ ابتداءً [3]: واللهِ ثُمَّ تَسْكُتُ .

– جُمْلَة جَوابِ القَسَم لا مَحَلَّ لها مِنَ الإِعْراب ، فَالقَسَمُ كَما يَقُولُ أَبُوحيَّان (ت : 745 هـ) : " لا يعمل في جوابه " [4] .

2 – الحُروفُ الرَّابِطةُ بَيْنَ جُمْلَتَيْ القَسَم [5]:

– بَيْنَ القَسَمِ والشَّرْطِ شَبَهٌ ومُناسَبَةٌ ، " من جهةِ احتياج كلّ واحد منهما إلى جواب " [6]، فَلا جَرَمَ أَنِ اشْتَرَكا في كَثيرٍ مِنَ الأَحْكام ، وَمِن ذَلكَ أَنَّ جُمْلَتَيْهِما يَرْبِطُهُما حَرْفٌ رابِطٌ ، لِتَعَلُّقِ إِحْداهُما بِالأُخْرى ، فَفي الشَّرْط نَجِدُ الفَاءَ ، وإذا الفُجائيَّة ، أَمَّا في القَسَم فَنَجِدُ اللَّامَ ، وَإِنَّ ؛ مُثقَّلةً أو مُخفَّفةً ، وما ، ولا ، وإِنْ الَّتي للنَّفْي وفي غيرها خِلافٌ [7].

– مِنْها ما هُو لِلإِثْباتِ ، وَمِنْها ما هُو لِلنَّفْي ، أَمَّا الَّتي لِلإِثْباتِ فَهِيَ : اللَّام ، وإِنَّ ، فَمِثالُ الأُولى قَوْلُه – تعالى – : ﴿ ... **تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ** ﴾ [النحل : 56] ، ومِثالُ الأُخْرى قَوْلُه – تعالى – : ﴿ **قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ** ﴾ [يوسف : 95].

---

[1]) هو عبد الرحمن بن إسحاق النَّهاوندي الزَّجاجي ، أبو القاسم (ت : 337 هـ .) : شيخ العربية في عصره ، ولد في نهاوند ، ونشأ في بغداد ، وسكن دمشق ، وتوفي في طبرية من بلاد الشام . السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج 2 ، ص 77 .

[2]) الزَّجَّاجي ، اللَّامات ، دار الفكر ، ط 2 ، دمشق ، 1405 هـ ، ص 85 .

[3]) ابتداءً أي ليس جواباً عن سؤال .

[4]) أبو حيان ، ارتشاف الضَرَب من لسان العرب ، ج 4، ص 1764 .

[5]) تُسَمَّى كذلك حُروفَ التَّلَقِّي ، والحُروفَ المُوَطِّئَةَ لِلْقَسَم .

[6]) ابن يعيش ، شرح المُفَصَّل في صناعة الإعراب للزمخشري ، ج 9 ، ص 22 .

[7]) وهي : أنْ الواقعة قبل لو ، ولم ، ولن . وقد وهِم صاحب أساليب الشرط والقسم ، فذكر " إنْ " في المتفق عليها ثم أعاد ذكرها في المختلف فيها . يُنْظَر : أحمد اللَّهيب ، أَساليبُ القَسَم والشَّرط في القرآن الكريم ، ص 114 .

أَمَّا الَّتي لِلنَّفْي فَهِيَ : ما ، ولا [1]، وإنْ [2]، فَمِثالُ الأُولى قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام : 23] ،

وَمِثالُ الثَّانِيةِ قَوْلُه – تعالى – : ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ...** ﴾ [النحل : 38] ، أَمَّا إنْ النَّافيةُ فَمِثالُها في القَسَم المُقَدَّر قَوْلُهُ – تعالى – : ﴿ ... **وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ** ... ﴾ [فاطر : 41] ،

أَيْ ما أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِن بَعْدِهِ .

وَالحاصِلُ مِن كُلِّ ما تَقَدَّمَ ، هُو أنَّ القَسَم ما هُو إلَّا جُمْلتانِ ؛ أُولاهُما إنْشائيَّةٌ ، وثَانِيهِما خَبَرِيُّةٌ ، تَرْبِطُهُما حُروفٌ مَخْصوصَةٌ ، وَكِلاهُما تَكونُ اسْميَّةٌ أو فِعْلِيَّةٌ ، فَهَذِه أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ ، وَبِاعْتِبارِ نَوْعَيْهِ ؛ الصَّريحِ وَغَيْر الصَّريحِ تَصِيرُ الوُجُوهُ ثَمانِيةً ،كما في الجدول الآتي :

[1]) قد تُحذَفُ وتُرَادُ كقوله تعالى : ﴿ **قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ** ... ﴾ [يوسف : 85] .

[2]) الزَّجَّاجي ، الجمل في النَّحو ، الرِّسالة ، ط 1 ، الأردنُّ ، 1404 هـ ، ص 70 .

وجوه القسم	جملة القسم	جملة جواب القسم	أمثلة
1	اسمية صريحة	اسمية	لعَمْرُك إنّهم لَفي سَكْرتهم
2		فعلية	لَعَمْرُك ما تَدْري الضَّواربُ بِالحَصى
3	اسمية غير صريحة	اسمية	ربُّنا يَعْلم إنّا إليكم لَمُرْسَلون
4		فعلية	اللهُ يَعْلَمُ ما تركْتُ قِتالَهُم
5	فعلية صريحة	اسمية	أُقْسِمُ أَنْ لَوِ التَقَيْنَا وَأَنْتُمُ لَكَانَ لَكُمْ يَومٌ
6		فعلية	وأقْسَموا باللهِ...لا يَبْعَثُ اللهُ من يَمُوتُ
7	فعلية غير صريحة	اسمية	نَشْهَدُ إنَّك لَرَسولُ اللهِ
8		فعلية	وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

ما أَخْلُصُ إليه هو أَنَّ العَرَبَ تَصَرَّفتْ في جُمْلَتيْ القسم ، بِأَنْواعٍ مِنَ التَّصَرُّفِ ، وَما ذاك إلَّا لِدَوَرانِهِ على أَلْسِنَتِهِم ، وَتَرَدُّدِهِ في كَلامِهِم ، بِما يُوحِي إلى أنَّهُم كَانُوا مِنْ أَكْثَرِ الأُمَمِ حَلِفًا إنْ لَمْ يَكونُوا أَكْثَرَها ، وهُو ما جَعلَهُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْم تَفْسيـرًا لِكَثْـرَةِ القَسَمِ في القُرْآن الكَريم [1].

[1]) بلغ عدد أقسام القرآن الكريم ثلاثة وخمسين موضعا . ينظر : علي بن محمد الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، ج 2 ، ص 536 . وهذا دُون احْتِسابِ القَسَم غَيرِ الصَّرِيحِ .

خلاصة المبحث

القسَم يدور معناه اللُّغوي على القطْع ؛ حِسّيا –كان – أو معنويّا ، ويُعبَّر عنْه بعدَّة ألفـــاظ ؛ منهـــا اليمـــين والحلـــف و الأليّـــة وغيرهـــا .

أمّا اصطلاحا فهو ضرْبٌ من التّوكيد ، يتركّب من جملتين ؛ أولاهما إنشائيّة ، والأخرى خبريّـة ، وتسـمّى الأولى جملـة القسـم ، والأخـرى جـواب القسـم .

وهـو يتنـوع إلى قسـمٍ صـريح ، وآخـرَ غـير صـريح .

ولا تخرج جملة القسم عن ثمانية وجوه من حيث كونها اسمية أو فعلية ، ومن حيث كونها صريحة في القسم أو غير صريحة .

إنَّ تنوُّع جملة القسَم وكثرةَ تصرُّفها يدلُّ على أنَّ العرب كانوا من أكثر الأمم حلِفا – إن لم يكونـــوا أكثرهـــا – .

المبحث الثّاني

معاني القَسَم بِالتَّاءِ في القرآن الكريم

- تمهيد .

- المطلب الأول : القَسَم بِالتَّاءِ تَسْفيهًا لِمُعْتَقَداتِ المُشْرِكِينَ .

- المطلب الثَّاني : القَسَم بِالتَّاءِ تَضْعيفًا لِرَأْيِ وَتَوْهينِهِ .

- المطلب الثالث : القَسَم بِالتَّاءِ رِقَّةَ شُعورٍ وَتَّفَجُّعاً وَشَفَقَةً مِنْ المُقْسِمِ.

- خلاصة المبحث .

تمهيد

اكْتَفى النُّحاةُ بِالقَوْل إنَّ تَاء القَسَم تُفيدُ التَّعجُّبَ ، وهَذا لا يَشْفي الغَليلَ ، ولا سِيَّما لِلنَّاظر فِيما جاءَ مِنْ ذلِك في القُرآنِ الكَريم ، إلَّا أنَّ الرُّمّاني (ت : 384 هـ) [1] حَاوَلَ تَفْسيرَ ذَلِكَ فَقَالَ : " لأَنَّها لَمَّا كَانَت نَادرَةً في أَدَوات القَسَم ، جُعِلَت لِلنَّادر مِنَ المَعاني ، والنَّادِر مِنَ المَعَاني يُتَعَجَّبُ مِنْهُ ." [2]

ويَرِد على كَلامِه إشْكالٌ ، وَهُو أنَّ هُناكَ حُروفُ قَسَمٍ أَنْدرُ اسْتِعْمالًا مِنَ التَّاء ، مِثْلَ " مُنْ " بِضَمِّ الميم وكَسْرها ، فَلِمَ لَمْ تُسْتَعْمل لِلتَّعَجُّب مِثلَ التَّاء ؟

يَقُولُ سِيبويه (ت : 180 هـ) : " واعْلَم أنَّ مِنَ العَرَب مَن يَقُول : " مِنْ ربِّ لأفعلنَّ ذلك ، ومُن ربِّ إنَّكَ لأَشِرٌ " ، يَجْعَلُها في هذا المَوضِع بِمَنْزِلة الواو والباء ، في قوله : " والله لأفعلنَّ " . ولا يُدْخِلونها في غير ربِّ ، كما لا يدخلون التَّاء في غير الله ... " [3].

ثُمَّ إنَّ كَلامه يُوحِي بِأنَّ التّعَجُّبَ في التّاء طارئٌ عليها بَعْد اسْتِعْمالها على وَجْه النُّدْرة ، ولَيس ذاتيًّا ! وهُو أَمْرُ يَفْتِقرُ إلى ما يَدُلُّ عليه وهيهات ! وتَاريخُ الأَلْفاظِ غَامِضٌ كَما يُقالُ .

ولَعَلَّ مِفْتاحَ الاهْتِداءِ إلى خَصيصَة اسْتِعْمالِ التّاءِ عامَّةً ، بِما فِيها تاءُ القَسَم ؛ هو ما سمَّاهُ بَعْضُ المُعاصِرينَ بـ : " القِيمةُ التَّعْبيريةُ لِلْحَرْفِ الواحِدِ في العَربيَّة " ، وأَوْضَحَهُ بِقَوْله :

---

[1]) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، أبو الحسن الرُّمَّاني (296 هـ - 384 هـ) : مُفَسِّر لغوي معتزلي ، من كبار النُّحاة ، أصله من سامُرَّاء ، ومَولده ووفاته ببغداد . يُنظَر : أحمد بن يحيى المرتضى ، طبقات المعتزلة ، المطبعة الكاثوليكية ، (دط) ، بيروت ، 1380 هـ ، ص 110 .

[2]) البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، ج 10 ، (دط) ، القاهرة ، (دت) ، ص 170 . وتَبِعَه الطِّيبي كما في حاشيته على الكشاف . ينظر : الطِّيبي ، فتح الغيوب في الكشف عن قناع الريب ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، ج 10 ، ط 1 ، الإمارات المتحدة ، 1434 هـ ، ص 366 ، 367 ..

[3]) سيبويه ، الكتاب ، ج 3 ، ص 499 .

" إنَّ مَباحِثَ ابْنِ جِنِّي (ت : 392 هـ) [1] وَرَأْيَهُ فِي الـمُقابَلَةِ بَيْنَ الخاصِّيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ لِلْحُرُوفِ اَلَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْهَا الأَلْفاظُ ، وَدِلالَتِها تُشِيرُ إِلَى وَظيفَةِ الحَرْفِ الـمَعْنَوِيَّةِ ، وَإِنْ كَانَ ابْنُ جِنِّي (ت : 392 هـ) لَمْ يَخْـرُجْ مِـنْ مَباحِثِـهِ وَشَـواهِدِهِ بِهَـذِهِ النَّتيجَـةِ الصَّـريحَةِ الواضِـحَةِ ! إِنَّ هَـذِهِ الفِكْرَةَ اَلَّتِي تَجَلَّتْ عِنْدَ ابْنِ جِنِّي (ت : 392 هـ) أَوْحَتْ إِلَى بَعْضِ البَاحِثِينَ فِي العَصْرِ الحَـديثِ بِنَظَرِيَّـةِ (القيمَـةِ التَّعْبيريَّـةِ أَوْ البَيَانِيَّـةِ لِلْحِـرَفِ فِي الأَلْفـاظِ العَرَبِيَّـةِ) ..." [2].

ثُّم ضَرْبَ لِذَلِكَ أَمْثِلَةً ، مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ عَنْ حَرْفِ الغَيْنِ ؛ مِنْ كَوْنِهِ يَدُلُّ عَلَى الِاسْتِتَارِ والْغَيبَةِ والْخَفاءِ ، وَذَلِكَ كَمَا فِي الموادِّ الآتيَةِ :

غَابَ ، غَارَ ، غَاضَ ، غَالَ ، غَامَ .

غَمَدَ ، غمَرَ ، غَمَزَ ، غَمَصَ ، غَمَّضَ ، غَمَطَ .

غَرَبَ ، غَرَزَ ، غَرَسُ ، غَرَفَ ، غَرَقَ ، غَرَمَ ، غَلَقَ ، غلَفَ ، غَلَّ .

غَفَرَ ، غَفَا ، غَبَشَ ، غَبَرَ ، غَبَنَ ، غَمَى .

غَـشَّ ، غَشَـى ، غَـطَّ ، غَطَّـى [3].

إلى أنْ يعودَ فِي آخِرِ اَلْبَحْثِ – بَعْدَ سَرْدِ الأَمْثِلَةِ – فَيَقُولُ : " وَلَكِنَّنَا نَرَى أَنَّ الأَمْثِلَةَ اَلَّتِي قَدَّمْنَاهَا ، وَالَّتِي قَدَّمَهَا البَاحِثُونَ ، لَا تَكْفِي لِاسْتِنْتاجِ قَانُونٍ عَامٍّ يَشْمَلُ أَلْفاظَ العَرَبِيَّةِ كُلَّها ، وَلَكِنَّهُ طَرِيقٌ يَنْبَغِي أَنْ يُشَقَّ ، وَبابٌ يَجِبُ أَنْ يُفْتَحَ . وَلَا رَيْبَ عِنْدِي أَنَّ مُتابَعَةَ التَّحَرِّي ، والْبَحْثِ فِي هَذَا الِاتِّجاهِ ، سَيُؤَدِّي إِلَى نَتائِجَ عَظيمَةٍ فِي تَارِيخِ الكَلِمِ العَرَبِيِّ ، وَنَظَراتٍ عَميقَةٍ فِي

---

[1]) هو عثمان بن جني الموصلي ، أبو الفتح (ت : 392 هـ) : من أئمَّة الأدب والنَّحو، وله شعر ، ولد بالموصل وتوفي ببغداد ، عن نحو 65 عاما ، وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي . ينظر : السُّيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج 2 ، ص 132 .

[2]) محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، ط 2 ، دمشق ، (دت) ، ص 101 ، 103 . ينظر : ابن جني ، الخصائص ، دار الكتب المصرية ، ج 2 ، (دط) ، القاهرة ، (دت) ، ص 146 .

[3]) المصدر نفسه ، ص 103 .

تَرْكِيبِهـــــا ... " [1].

وَهَذَا لَيْسَ نَقْضًا لِمَا بَنَاه أَوَّلًا ، وَلَكِنَّهُ دَعْوَةٌ لِلْبَاحِثِينَ إِلَى تَوْطِيدِهِ بِمَزِيدٍ مِنْ البَحْثِ والتَّأَمُّلِ .

وَقَدْ لاحَظَ بَعْضُ الدَّارِسِينَ – مِمَّنْ سَلَكَ هَذَا النَّهْجَ – أَنَّ صَوَّتَ التّاءِ يُوحِي بِالضَّعْفِ ، والرِّقَّةِ ، وَالْتَفاهَةِ ؛ وَذَلِكَ بِتَتَبُّعِهِ لِلْمَصَادِرِ الجُذورِ لِأَفْعالِ ذَواتِ التّاءِ ، وَاشْتَرَطَ أَنْ تَكونَ لَيْسَتْ مُعَرَّبَةً ، وَلَا مُوَلَّدَةً ، وَلَا دَخيلَةَ ، وَلَا مُحْدَثَةٍ ، وَلَا عامّيَّةَ ، ثُمَّ النَّظَرُ فِي مَعَانِيهَا الْمُشْتَرَكَةِ عَلَى الطَّرِيقَةِ السّابِقَةِ الذِّكْرِ فِي حَرْفِ الغَيْنِ . وَذَكَرَ أَمْثِلَةً لِذَلِكَ :

تَبْتَبَ : شَاخَ ، التِّبْنُ : القَشُّ اليابِسُ ، تَخَّ العَجِينُ : لَانَ وَاسْتَرْخَى ، التُّرابُ : معروف ، تَرُفَ النَّباتُ :كَثُرَ مَاؤُهُ وَنَضُرَ ، تَرَهُ : وَقَعَ فِي اَلتُّرَّهاتِ ، تَفْتَفَ : اتَّسَخَ بَعْدَ نَظافَةٍ ، اَلْتَفُّ : وَسَخُ الظُّفْرِ ، تَفِهَ : قَلَّ وَخَسَّ وَحَقُرَ ، تَكَّ الرَّجُلُ : حَمُقَ ، اَلْتَّبُّ : الخَسارُ ، تَلِفَ : هَلَكَ ، تَاعَ اَلْجَمَدُ : ذَابَ وَسَالَ ، تَامَ الحُبُّ فُلَانًا : اسْتَعْبَدَهُ وَذَهَبَ بِعَقْلِهِ .

وَبَرَّرَ مَا انْتَقَضَ فِيه ذَلِكَ بِتَسَلُّطِ حَرْفٍ مُجاوِرٍ لَهُ فِي الكَلِمَةِ ، فَمَنَعَهُ مِنْ دَلالَتِهِ عَلَى الضَّعْفِ أوِ الرِّقَّـــةِ أوِ اَلْتَّفاهَـــةِ ؛ إِذْ التّـــاءُ ضَـــعيفُ الشَّخْصـــيَّةِ عَلَـــى حَـــدِّ تَعْبِـــيرِهِ [2].

وَمِمَّا يَزِيدُنا طُمَأْنِينَةً لِلنَّتَائِجِ اَلَّتِي تَوصَّلَ إِلَيْهَا ثَلاثَةُ أُمورٍ – غَيْرَ التَّتَبُّعِ والِاسْتِقْراءِ اَلَّذِي سَلَكَهُ – هِيَ :

– **الأَوَّلُ** : اسْتِعْمالُ العَرَبِ التّاءِ لِلتَّأْنِيثِ فِي الأَسْماءِ والْأَفْعالِ والْحُروفِ ، أَمَّا الأَسْماءُ والْحُروفُ فَفِي آخِرِها ، وَأَمَّا الأَفْعالُ فَفِي أَوَّلِها وَآخِرِها ، فِي تَفْصيلٍ طَويلٍ يُطْلَبُ مِنْ مَظانِّهِ [3].

[1]) المصدر السابق ، ص 105 .

[2]) ينظر : حسن عباس ، خصائص الحروف العربية ومعانيها ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1998 م ، ص 57 ، 58 .

[3]) ينظر مثلا : ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك ، دار التراث ، ج 4 ، ط 20 ، القاهرة ، 1400 هـ ، ص 91 .

فَاخْتيارُهُمْ لِلتَّاءِ دُونَ سائِرِ الحُروفِ [1] لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِخَصِيصَةٍ فِي صَوْتِها ، والتَّأْنيثُ دَلالَةٌ عَلَى الأُنْثَى اَلَّتِي هِيَ رَمْزُ الرِّقَّةِ والضَّعْفِ وَالْتِفاهَةُ فِي مَنْظورِ العَرَبِ الأَوائِلِ ، وَكَثيرٍ مِنْ الأُمَمِ غَيْرِهِمْ !

– **الثَّاني** : هوَ مَا نُلَاحِظُهُ فِي ضَمَائِرِ المُخاطَبِ السِّتَّةِ وَهِيَ : أَنْتَ أَنْتَ أَنْتُمَا أَنْتُمَا أَنْتُمْ أَنْتَنَّ مِنْ لَحَاقِ التّاءِ لَهَا دُونَ ضَمَائِرِ المُتَكَلِّمِ والْغَيبَةِ ، وَلَعَلَّ السِّرَّ فِي ذَلِكَ هوَ رَغْبَتُهُمْ فِي تَلْطيفِ الخِطابِ وَتَخْفيفِ مَا فِيه مِنْ حَرَجِ قُرْبِ الوُجوهِ مِنْ الوُجوهِ ، وَنَظَرِ الحِداقُ مِنْ قُرْبٍ فِي أَجوافِ الحِداقِ ، سَواءً عَلَى المُخاطِبِ أَوْ المُخاطَبِ .

أَمَّا عَلَى المُخاطِبِ فَقَدْ نَقَلوا عَنْ الخُلَفاءِ والْأُمَراءِ شَكْواهم مِنْ مَشَقَّةِ المُواجَهَةِ اَلَّتِي فِي الخُطَبِ ، فَذَكَرُوا أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّاب رضي الله عنه [2] – وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي رَباطَةِ الجَأْش وثَباتِ الفُؤادِ – كَانَ يَقُولُ : " مَا يَتَصَعَّدُنِي كَلامٌ كَمَا تَتَصَعَّدَنِي خُطْبَةُ النِّكاحِ " . وَمَقْصودُهُ بِالْكَلَامِ الخُطَبُ . وَإِنَّمَا كَانَتْ خُطْبَةُ النِّكاحِ أَشَدَّ عَلَيْهُ لِأَنَّهَا تَكونُ عَنْ جُلوسٍ ، وَإِذَا كَانَ جَالِسًا مَعَهُمْ كَانُوا كَأَنَّهُمْ نُظَراءُ وَأَكْفاءٌ ، فَإِذَا عَلا المِنْبَرُ صَارُوا سُوقَةً وَرَعِيَّةً .

وَقِيلَ لِعَبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوان [3] : " عَجِلَ عَلَيْكَ الشَّيْبُ يَا أَميرُ المؤْمِنِينَ ! " ، فَقَالَ : " وَكَيْفَ لَا يَعْجَلُ عَلَيَّ وَأَنَا أَعْرِضٌ عقْليٌّ عَلَى النّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ! " . يَعْنِي بِذَلِكَ خُطْبَةَ الجُمُعَةِ وَبَعْضَ مَا يَعْرِضُ مِنْ الأُمورِ [4].

وَأَمَّا عَلَى المُخاطَبِ فَكَانُوا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الغَيبَةِ فِي مُخاطَبَةِ الأُمَراءِ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِمْ لَهُمْ : "

---

[1]) أمَّا الأَلفُ فَدِلالتُها على التَّأنيث في المرتبة الثَّانية بعد التَّاء . ينظر : ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك ، ج 4 ، ص 91 .

[2]) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أبو حفص : ثاني الخلفاء الراشدين ، وأول من لقب بأمير المؤمنين ، الصحابي الجليل ، الشجاع الحازم ، صاحب الفتوحات ، يضرب بعدله المثل . ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج 2 ، ص 314 .

[3]) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، أبو الوليد : من أعاظم الخلفاء ودهاتهم . ينظر : الذّهبي ، سير أعلام النّبلاء ، الرّسالة ، ج 4 ، ط 3 ، بيروت ، 1405 هـ ، ص 246 .

[4]) ينظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار ومكتبة الهلال ، ج1 ، (دط) ، بيروت ، 1423 هـ ، ص115 ، 128 .

أَصْلَحُ اللَّهُ الأَميرَ " [1] ، وَقَدْ جَاءَ مِنْهُ فِي القُرْآنِ قَولُهُ – تَعَالَى – : ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ** ﴾ [عَبَسَ : 1 – 2] .

– الثّالِثُ : إِدْخالُهُمْ التَّاءُ – وَهي تَاءُ التأنيث – عَلَى لَفْظَيْ : أَبٍ ، وَأُمٍّ فِي النِّداءِ ، فَيَقُولُونَ : يَا أَبَتَ ، وَيَا أُمَّتَ ، أَوْ يَا أَبَتِ ، ويَا أُمَّتِ ، تَعْوِيضًا بِهَا عَنْ يَاءِ الـمُتكَلِّمِ ، وَذَلِكَ تَلَطُّفًا مَعَ الوَالِدَيْنِ ، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَرِدْ نِداءُ الأَبِ فِي القُرْآنِ إِلَّا بِهَذِهِ الصّيغَةِ [2].

وَقَدْ أَشَارَ ابْنُ مالِكٍ (ت : 672 هـ) إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ [مِنْ الرَّجَزِ] :

وَفِي اَلْنِّدَا أَبَتَ أُمَّتَ عَرَضْ واكْسِرْ أَوِ افْتَحْ ، وَمِن اَلْيا اَلْتَا عِوَضْ [3]

وَقَدْ تَتَبَّعَتْ مَواضِعَ القَسَمِ بِالتَّاءِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ – فِي ضَوْءِ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ خَصائِصِ صَوْتِ التَّاءِ ، وَقيمَتِهِ التَّعْبيريَّةِ – فَوَجَدْتُهَا لَا تَخْرُجُ عَنْ الإِشارَةِ إِلَى تَضْعيفِ رَأْيٍ مُضَمَّنٍ فِي جَوابِ القَسَمِ ، أَوْ رِقَّةِ شُعورٍ مِنْ الـمُقْسِمِ ، أَوْ تَسْفيهٍ وتَتْفيهٍ لـمُعْتَقَدٍ باطِلٍ مِنْ مُعْتَقَداتِ المشْرِكِينَ ، إِضافَةً إِلَى دَلالَتِها عَلَى التَّعَجُّبِ فِي كَثيرٍ مِنْ المواضِعِ .

وَقَدْ أَفْرَدْتُ لِكُلِّ خَصِيصَةٍ مِنْهَا مَطْلَبًا ، مُتَضَمِّنًا فُرُوعًا ، أُخَصِّصُ كُلَّ فَرْعٍ مِنْهَا لِبَحْثِ آيَةٍ مِنْ الْآيَاتِ التِّسْعِ ذَواتِ القَسَمِ بِالتَّاءِ ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْو الآتِي :

---

[1]) ينظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص 273 ، 312 ، ج2 ، ص 126 ، 141 ، 150 ، 199 ، ج3 ، ص 232 ، 256 .

[2]) ورد ذلك في ثمانية مواضع هي : [يوسف : 04] ، [يوسف : 100] ، [مريم : 42] ، [مريم : 43] ، [مريم : 44] ، [مريم : 45] ، [القصص : 26] ، [الصَّافات : 102] .

[3]) ينظر : ابن الناظم ، شرح ألفية ابن مالك ، ص 413 .

المَطْلَبُ الأَوَّلُ : القَسَمُ بِالتَّاءِ تَسْفيهًا لِمُعْتَقَداتِ المُشْرِكِينَ .

المَطْلَبُ الثَّانِي : القَسَم بِالتَّاءِ تَضْعيفًا لِرَأْيٍ وَتَوْهينِهِ .

المَطْلَبُ الثّالِثُ : القَسَم بِالتَّاءِ رِقَّةَ شُعورٍ وَتَفَجُّعٌ وَشَفَقَةٌ مِنْ المُقْسِمِ .

وَقَدْ كَانَ اَلْمَطْلَبُ الأَوَّلُ أَوْفَرَ حَظًّا مِنْ حَيْثُ عَدَدُ الْآيَاتِ ، وَهِيَ خَمْسَةُ مَواضِعَ : مَوْضِعَانِ فِي النَّحْلِ ، وَمَوْضِعٌ فِي الشُّعَراءِ ، وَمَوْضِعٌ فِي الأَنْبياءِ ، وَآخَرُ فِي الصّافّاتِ .

أَمَّا المَطْلَبُ الثَّانِي فَنَصِيبُهُ ثَلاثَةُ مَواضِعَ مِنْ سورَةِ يوسُفَ .

وَأَقَلُّها المَطْلَبُ الثّالِثُ بِمَوْضِعٍ واحِدٍ فِي سورَةِ يوسُفَ أَيْضًا .

كَمَا أُحِبُّ أَنْ أُشيرَ إِلَى أَنَّ جُلَّ الأَقْسَامِ بِالتَّاءِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ كَانَتْ مَنْقولَةً ، مَا عَدَا مَوْضِعَي سُورَةِ النَّحْلِ .

وَهَذَا أَوانُ الشُّروعِ فِي المَقْصُودِ ، فَأَقولُ – وَبِاللَّهِ التَّوْفيقُ – :

المَطْلَبُ الأَوَّلُ : القَسَم بِالتَّاءِ تَسْفيهًا لِمُعْتَقَداتِ المُشْرِكِينَ

لَا يَسْتَعْمِلُ القُرْآنُ القَسَمَ فِي إِبْطالِ مُعْتَقَداتِ المُشْرِكِينَ وَتَسْفيهِها إِلَّا بِهَذِهِ الصّيغَةِ "تالله " ، كَمَا يُعْلَمُ ذَلِكَ بِالْتَّتَبُّعِ والِاسْتِقْراءِ . وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي خَمْسَةِ مَواضِعَ ، عَقَدَتُ لِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْهَا فَرْعًا لِمَزِيدِ بَيَانِهِ ، عَلَى النَّحْوِ الآتِي :

اَلْفَرْعُ الأَوَّلُ : تَسْفيهُ تَقَرُّبِ المُشْرِكِينَ لِأَوْثانِهِمْ بِمَا رَزَقَهُمْ اللَّهُ – تَعَالَى – .

وَرَدَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ** ﴾ [النَّحْلِ : 56] .

1– تحديد أركان القسم وعناصره :

نصّ الآية	الركن 1 : جملة القسم			الركن 2 : جملة جواب القسم	
	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	حرف توطئة القسم	المقسم عليه
تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ	محذوف وجوبا تقديره : أقسم	التّاء	لفظ الجلالة " الله "	اللّام في" لتسألنَّ "	تسألنَّ عمّا كنتم تفترون

2– بَيانُ سِياقِ الآية :

جَاءتِ الآيَةُ فِي سِيَاقِ مَنِّهِ تَعَالَى عَلَى عِبادِهِ بِنَعَمِهِ ، وَبِاسْتِجابَةِ دُعائِهِمْ لَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَمُقابَلَةِ فَرِيقٍ مِنْهُمْ لِهَذِهِ النِّعَمِ بِالشِّرْكِ بِهِ تَعَالَى ، وَكُفْرانِ نِعَمِهِ ، بَلْ والتَّقَرُّبُ بِنَصيبٍ مِنْ تِلْكَ النِّعَمِ والْأَرْزاقِ لِآلِهَتِهِمْ البَاطِلَةِ . يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم**

بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ ... ﴾ [النَّحْلُ : 53 – 56] .

فَالضَّمِيرُ فِي " يَجْعَلُونَ " عائِدٌ عَلَى فَرِيقٍ مِنْ البَشَرِ وَهُمْ المُشْرِكُونَ ، وَصيغَةُ المضَارِعِ تَدُلُّ عَلَى اسْتِمْرارِهِمْ فِي ذَلِكَ وَتَمَسُّكُهُمْ بِهِ [1].

أَمَّا الضَّميرُ فِي " لَا يَعْلَمُونَ " فَفِيه وَجْهَانِ ذَكَرَهُمَا كَثيرٌ مِنْ المُفَسِّرِينَ ، قَالَ الشَّنْقيطيُّ (ت : 1393 هـ) [2] : " فِي ضَميرِ الفاعِلِ فِي قَوْلِهِ : " لِما لَا يَعْلَمُونَ " وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ عائِدٌ إِلَى الكُفَّارِ ، أَيْ : وَيَجْعَلُ الكُفّارُ لِلْأَصْنَامِ الَّتِي لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِعِبادَتِها ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهَا تَنْفَعُ عابِدَها أَوْ تَضُرُّ عَاصِيَهَا – نَصِيبًا إِلَخ ...

الوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ وَاوَ " يَعْلَمُونَ " واقِعَةٌ عَلَى الأَصْنامِ ، فَهِيَ جَمادٌ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا ؛ أَيْ : وَيَجْعَلُونَ لِلْأَصْنَامِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا لِكَوْنِهِمْ جَمادًا – نَصِيبًا إِلَخْ ... " [3].

وَلَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِ الآيَةِ عَلَى الوَجْهَيْنِ جَمِيعًا ، فَإِنَّ كِلا الوَجْهَيْنِ حَقٌّ ، تَشْهَدُ لَهُ آيَاتٌ أُخَرٌ ، فَأَمَّا الوَجْهُ الأَوَّلُ فَقَدْ جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾ [الحج : 71] .

---

[1]) ينظر : ابن عاشور ، التَّحرير والتنوير ، ج 14 ، ص 180 .

[2]) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (1325 هـ – 1393 هـ) : مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا) ، ولد وتعلم بها ، وحج (1367 هـ) ، واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض (1371 هـ) ، وأخيرا في الجامعة الاسلامية بالمدينة (1381 هـ) وتوفي بمكة . ينظر : الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، ج 6 ، ط 15 ، بيروت ، 2002 م ، ص 44 ، 45 .

[3]) الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، دار الفكر ، ج 2 ، (دط) ، بيروت ، 1415 هـ ، ص 386 .

وَأَمَّا الوَجْهُ الثَّانِي فَقَدْ جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ [النحل : 20 ، 21][1].

وَهَذَا النَّصيبُ المَجْعُولُ لِآلِهَتِهِمْ بَيَّنَهُ اللَّهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ فَقَالَ : ﴿**وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [الأنعام : 136] . يَقُولُ الشِّنْقيطيُّ (ت : 1393 هـ) : " وَذَلِكَ أَنَّ الكُفّارَ كَانُوا إِذَا حَرْثوا حَرْثًا ، أَوْ كَانَتْ لَهُمْ ثَمَرَةٌ جَعَلُوا لِلهِ مِنْهَا جُزْءًا ، وَلِلْوَثَنِ جُزْءًا ، فَمَا جَعَلُوا مِنْ نَصيبِ الأَوْثَانِ حَفِظُوهُ ، وَإِنْ اخْتَلَطَ بِهِ شَيْءٌ مِمَّا جَعَلُوهُ لِلَّهِ رَدُّوهُ إِلَى نَصيبِ الأَصْنامِ ، وَإِنْ وَقَعَ شَيْءٌ مِمَّا جَعَلُوهُ لِلهِ فِي نَصيبِ الأَصْنامِ تَرَكُوه فِيهِ ، وَقَالُوا : اللَّهُ غَنِيٌّ والصَّنَمُ فَقيـــــــــــــيرٌ ! " [2].

إِلَّا أَنَّ آيَةَ الأَنْعَامِ ذَكَرَتْ النَّصيبيْنِ ؛ نَصيبَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَنَصيبَ الأَوْثَانِ ، أَمَّا هُنَا فَلَمْ يَذْكُرْ إِلَّا نَصيبَ الأَوْثَانِ ، وَذَلِكَ لِاخْتِلَافِ سِيَاقِ الآيَتَيْن ، يوَضِّحُ ذَلِكَ ابْنُ عَاشُورٍ (ت : 1393 هـ) [3] فَيَقُولُ : " إِلَّا أَنَّهُ اقْتَصَرَ هُنَا عَلَى ذِكْرِ مَا جَعَلُوهُ لِشُرَكَائِهِمْ دُونَ مَا جَعَلُوهُ لِلهِ ؛ لِأَنَّ المَقَامَ هُنَا لِتَفْصِيلِ كُفْرَانِهِمْ النِّعْمَةَ ، بِخِلَافِ مَا فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ ، فَهُوَ مَقامُ تَعْدادِ أَحْوالِ جاهِلِيَّتِهِمْ وَإِنْ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ مُنْكَرًا عَلَيْهُمْ ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الكُفْرِ أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ " [4].

---

[1]) ينظر : الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج 2 ، ص 386 .

[2]) المصدر السابق ، ج 2 ، ص 387 .

[3]) هو محمد الطاهر بن عاشور (1296 هـ – 1393 هـ) : رئيس المفتين المالكيين بتونس ، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس ، مولده ووفاته ودراسته بها . ينظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 6 ، ص 174 .

[4]) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 14 ، ص 180 .

وَلِفَظاعَةِ شِرْكِهِمْ وَسَخافَتِهِ خُتِمَتِ الآيَةُ بِتَهْديدٍ شَديدٍ لَهُمْ ، زَادَ مِنْ وَقْعِهِ الِالْتِفَاتُ مِنْ الغَيْبَةِ إِلَى الخِطابِ ، وَبَداءَتِهِ بِقِسَمٍ فِي جَوابِهِ تَأْكِيدَانِ ؛ اللَّامُ ، وَنُونُ التَّوْكِيدِ الثَّقيلَةِ .

وَحَسُنَ القَسَمُ هُنَا ؛ لِأَنَّ سُؤالَهُمْ عَنْ افْتِرائِهِمْ يَكونُ يَوْمَ بَعْثِهِمْ ، وَهُمْ يُنْكِرونَهُ أَصْلًا ، فَنَاسَبُ أَنْ يُؤَكِّدَ .

وَهَلْ سُؤالُهُمْ لِمُجَرَّدِ اَلْتَوْبيخِ والتَّقْريعِ كَمَا عَلَيْهُ جُمْهورُ الـمُفَسِّرِينَ [1] ، أَمْ هوَ كِنايَةٌ عَمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهُ مِنْ العِقابِ ؛ لِأَنَّ عِقابَ العادِلِ يَكونُ فِي العُرْفِ عَقِبَ سُؤالِ الـمُجْرِمِ عَمَّا اقْتَرَفَهُ ؛ إِذْ لَعَلَّ لَهُ مَا يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، فَأَجْرَى اللَّهُ أَمَرَ الحِسابِ يَوْمَ البَعْثِ عَلَى ذَلِكَ السَّنَنِ الشَّـريفِ كَمَـا قَـرَّرَهُ ابْـنُ عَاشُـورٍ [2] ؟

وَالاحْتِمَالُ الثَّاني أَجَلُّ وَأَفْخَمُ وَأَرْفَعُ ، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّ الـمُجْرِمَ حِينَ يُحاكَمُ مُحاكَمَةً عادِلَةً يُفْضَحُ ، وَيَنْكَشِفَ زَيْفُ باطِلِهِ وَتَتَهاوَى حُجَجُهُ ، وَكَفَى بِهِ تَوْبِيخًا وَتَقْرِيعًا .

لِتُخْتَمَ الآيَةُ بِوَصْمِ قَوْلِهِمْ بِالْافْتِراءِ ، وَهُوَ أَسْوَأُ الكَذِبِ ؛ إِذْ هوَ مَا يَكونُ مُخْتَرَعًا مِنْ الكاذِبِ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ غَيْرِهِ [3] ، " والْإِتْيانُ بِفِعْلِ الكَوْنِ وَبِالْمُضارِعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الِافْتِراءَ كَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَكَانَ مُتَجَدِّدًا وَمُسْتَمِرًّا مِنْهُمْ ، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يُقالَ : عَمَّا تَفْتَرُونَ ، وَعَمَّا افْتَرَيْتُمْ " [4].

3- بيانُ وجوه التَسْفيه في الآية وسياقها :

حَشَدَتِ الآيَةُ مِنْ النِّكاتِ اَلْبَلاغِيَّةِ ، وَتَضافَرَ فِيهَا الكثيرُ مِنَ القَرائِنِ اللَّفْظِيَّةِ والمعنوية عَلَى تَسْفيهِ صَنيعِ الـمُشْرِكِينَ وَتَفاهَتِهِمْ ، أُلَخِّصُها فِي نِقاطٍ على النَّحْو الآتي :

---

[1]) كالرازي وابن الجوزي والسيوطي والشوكاني والشنقيطي وغيرهم .

[2]) ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 14 ، ص 181 .

[3]) ينظر : القرافي ، الفروق ، ج 1، ص 99 .

[4]) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 14 ، ص 182.

أ – التَّعْبيرُ بِالْفِعْلِ المُضَارِعِ فِي ثَلاثَةِ مَواضِعَ مِنْهَا (يَجْعَلُونَ ، يَعْلَمُونَ ، يَفْتَرونَ) ، دَلالَةٌ عَلَى اسْتِمْرارِهِمْ عَلَى باطِلِهِمْ وَتَمَسُّكِهِمْ بِهِ .

ب – لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ عَلَى أَنَّ آلِهَتَهُمْ تَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ، وَلَا بِنَفْعِها أَوْ ضَرَرِها .

ج – آلِهَتُهُمْ لَا يَصِحُّ وَصَفُها بِالْعِلْمِ أَصْلًا ، فَهِيَ جَماداتٌ لَا تَعْقِلُ .

د – النَّصيبُ اَلَّذِي تَقْرَبُوا بِهِ إِلَيْهَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هوَ اَلَّذِي رِزْقَهُمْ بِهِ .

هـ – التَّهْديدُ الشَّديدُ لَهُمْ المُؤَكَّدُ بِثَلاثِ مُؤَكِّداتٍ .

و – سَيُحَاكَمُونَ مُحاكَمَةً عادِلَةً ، وَيُسْأَلُونَ ، وَيُسْمَعُ مِنْهُمْ بِمَا يُفْضي إِلَى تَوْبيخِهِمْ ، وَتَقْريعِهِمْ

ز – قَوْلُهُمْ مَحْضُ افْتِراءٍ أَلِفُوهُ وَاعْتَادُوا عَلَيْهُ .

فَقَدْ جَاءَ – إِذَنْ – القَسَمُ بِهَذِهِ الصّيغَةِ " تاللهِ " مُبْتَدَأً بِحَرْفِ التّاءِ اَلَّتِي يُوحِي صَوْتُها – كَمَا تَقَدَّمَ – بِالْتَسْفيهِ والتَّتْفيهِ والتَّسْخيفِ – مُتَّسِقًا مَعَ تِلْكَ القَرائِنِ ، مُنَاسِبًا تَمامَ المُناسَبَةِ لَهَا ، زيادَةً فِيهَا ، بَلْ لَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الآيَةِ أَرْبَعُ تَاءاتٍ ؛ تاللَّهُ ، لَتُسْأَلُنْ ، كُنْتُمْ ، تَفْتَرُونَ .

اَلْفَرْعُ الثَّانِي : تَسْفيهُ نِسْبَةِ المُشْرِكِينَ البَناتِ لِلَّهِ – تَبارَكَ وَتَعَالَى – .

وَرَدَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿ **تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ** ﴾ [النَّحل : 63] .

1– تحديد أركان القسم وعناصره :

نصّ الآية	الركن 1 : جملة القسم			الركن 2 : جملة جواب القسم	
	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	حرف توطئة القسم	المقسم عليه
تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ ...	محذوف وجوبا تقديره : أقسم	التَّاء	لفظ الجلالة " الله "	لَقَدْ	أرسلنا إلى أمم من قبلك ...

2– بيان سياق الآية :

جَاءَتِ الآيَةُ بَعْدَ بِضْعِ آيَاتٍ مِنْ الآيَةِ السّابِقَةِ ، فَهُمَا فِي سِيَاقٍ واحِدٍ ؛ فَبَعْدَ أَنْ نَعَى اللهُ –تَعَالَى – عَلَيْهِمْ تَقَرُّبَهُمْ إِلَى غَيْرِهِ بِرِزْقِهِ ، أَرْدَفَهُ بِمَا لَا يَقِلُّ عَنْهُ سَخافَةً ، وَقُبْحًا ؛ إِنَّهُ اعْتِقادُهُمْ بِأَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللَّهِ – تَعَالَى اللَّهَ عَنْ ذَلِكَ عُلوًّا كَبِيرًا – ، وَهُوَ اعْتِقادُ كِنانَةَ وَخُزاعَةَ ، كَمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ واحِدٍ مِنَ المُفَسِّرِينَ [1].

وَقَدْ مَهَّدَ اللَّهُ – تَعَالَى – لِهَذَا القَسَم بِوَصْفِ مَبْلَغِ كَراهَتِهِمْ لِلْأُنْثَى حَتَّى لِيَصِلَ بِهِمْ الْحَالُ إِلَى الوَأْدِ فِي التُّرابِ ، فَعَجَبًا لَهُمْ كَيْفَ يَنْسُبونَ لَهُ سُبْحَانَهُ مَا يَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ !

ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ العَلِيَّةَ عَنْ باطِلِهِمْ فِي مَوْضِعَيْنِ ؛ الأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ – تعالى –: ﴿ **سُبْحَٰنَهُۥ**...﴾ [النحل : 57] ، والثَّاني في قوله – تعالى – : ﴿ **لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ** ﴾ [النحل : 60] .

وَبَعْدَ نَوْعٍ مِنْ الِاسْتِطْرادِ فِي آيَتَيْنِ ، عَادَ فَكَرَّرَ فِعْلَهِمْ ، لَا لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيدِ كَمَا زَعَمَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ ، بَلْ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ لَهُمْ أُمُورًا أُخْرَى يَكْرَهُونَهَا يَنْسِبُونَها لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ،

[1]) ينظر : محمود الآلوسي ، روح المعاني ، دار الكتب العلمية ، ج 7 ، ط 1 ، بيروت ، 1415 هـ ، ص 406 . ونقل عن بعضهم تفسيره لسر تأنيث العرب للملائكة فقال : " أظنّ أنّهم أطلقوا عليها البنات لاستتارها عن العيون كالنّساء ، ولهذا لما كان قرص الشمس يجري مجرى المستتر عن العيون بسبب ضوئه الباهر ونوره القاهر ، أطلقوا عليه لفظ التأنيث . اهـ " .

غَيْرَ نِسْبَةِ البَناتِ لَهُ ، وَأُمورًا أُخْرَى يَسْتَحْسِنُونَهَا يَنْسُبونَهَا لِأَنْفُسِهِمْ ، غَيْرَ نِسْبَةِ البَنِينَ لَهُمْ ، فَاسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ عَذابِ جَهَنَّمَ . يَقُولُ اللَّهُ – تَعَالَى – : ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ**﴾ [النحل : 57 – 62] .

أَمَّا القَسَمُ فَهُوَ مُوَجَّهٌ إِلَى النَّبِيِّ – ﷺ– لَفْظًا ، وَلَمْ يوَجَّهْ إِلَى المَعْنِيِّينَ بِهِ صَرَاحَةً ، وَلَعَلَّ النُّكْتَةَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ وَغَباوَتِهِمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ الخِطابَ ؛ إِذْ الخِطابُ لِمَنْ لَهُ مُسْكَةٌ مِنْ رُشْدٍ ، وَبَقِيَّةٌ مِنْ فَهْمٍ ، وَهَؤُلَاءِ فَقَدوا كُلَّ ذَلِكَ . وَهَذَا بِخِلَافِ القَسَمِ السَّابِقِ فَإِنَّهُمْ قَدْ خُوطِبُوا بِهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَقَلُّ سَفَهًا ، وَأَنْقَصُ سُخْفًا !

وَالمَقْصُودُ بِالتَّوْكِيدِ بِالقَسَمِ هوَ تَزْيِينُ الشَّيْطانِ لِلْأُمَمِ السَّابِقَةِ ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ إِرْسالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ ، يَقُولُ ابْنُ عَاشُورٍ (ت : 1393 هـ) : " وَمَصَبُّ القَسَمِ هوَ التَّفْرِيعُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ ﴾ [النَّحْلُ : 63] ، وَأَمَّا الإِرْسالُ إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَا يَشُكُّ فِيه المُشْرِكُونَ ، وَالمَقْصُودُ : أَنَّ المُشْرِكِينَ سَلَكُوا مَسْلَكَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ الَّتِي زَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ " [1].

[1]) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 14 ، ص 194 .

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ – تَعَالى – : ﴿ ... **فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النَّحل : 63] أَنَّ المَقْصُودَ بِالْيَوْمِ هوَ الزَّمانُ كُلُّهُ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلَى آخِرِها ، أَيْ قَرِينُهُمْ فِيهَا وَناصِرُهُمْ ، وَمُتَوَلِّيهم .أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَلَيْسَ لَهُمْ فِيهَا وَلِيٌّ وَلَا ناصِرٌ يَدْفَعُ عَنْهُمْ العَذابَ الأَليمَ[1].

3– بيان وجوه التَّسفيه في الآية وسياقها :

وَمُلَخَّصُ مَا جَاءَ فِي الآية وسِيَاقِها مِنْ تَسْفيهِ اعْتِقادِهِمْ وتَسْخيفِهِ أُجْمِلُهُ فِي النِّقاطِ الآتيَةِ :

أ – نِسْبَتُهُمْ لِلّهِ تَعَالَى مَا يَكْرَهُونَ لِأَنْفُسِهِمْ .

ب – التَّعْبيرُ بِالْمُضارِعِ في " يَجْعَلُونَ " لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرارِهِمْ عَلَى باطِلِهِمْ ، وَتَمَسُّكُهُمْ بِهِ .

ج – تَنْزيهُ اللَّهِ تَعَالَى لِنَفْسِهِ العَلِيَّةِ مِنْ مَقالَتِهِمْ فِي مَوْضِعَيْنِ .

د – مَبْلَغُ كُرْهِهِمْ لِلْأُنْثَى اَلَّذِي يَصِلُ إِلَى وَأْدِها سَفَهٌ إِلَى سَفَهِهِمْ .

هـ – إِعْلانُ تَقْبيحِ فِعْلِهِمْ بِـ : ﴿ ... **أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [النَّحل : 59] بِنِسْبَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ مَا لَا يَلِيقُ ، وَبِمَا تَعارَفوا عَلَيْهُ مِنْ حُرِّيَّةِ الأَبِ أَنْ يَفْعَلَ بِبِنْتِهِ مَا يَشَاءُ [2].

و – قَدْ اسْتَحَقُّوا المَحْقَّ وَالِاسْتِئْصَالَ لِسُوءِ مَقالَتِهِمْ وَسُخْفِها وَشَناعَتِها ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعاجِلُ بِالْعَذَابِ ، " لِأَنَّ العَجَلَةَ مِنْ شَأْنِ مِنْ يَخافُ فَوَاتَ الفُرْصَةِ ، وَرَبُّ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ لَا يَفوتُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ " [3].

ز – لَهُمْ أُمورٌ أُخْرَى غَيْرَها يَكْرَهُونَها لِأَنْفُسِهِمْ يَنْسِبُونَها إِلَيْهِ سُبْحانَهُ وتَعَالَى .

ح – التَّعْبيرُ عَنْهَا بِالْمُضارِعِ يَدُلُّ عَلَى اسْتِمْرارِهُمْ عَلَيْهَا وَتَمَسُّكُهُمْ بِهَا .

---

[1]) ينظر : ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، دار هجر ، ج14 ، ط1 ، القاهرة ، 1422 هـ ، ص 267 .

[2]) ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 14 ، ص 185 .

[3]) الشنقيطي : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج 2 ، ص 389 .

ط – التَّعَلُّقُ بِالأَمَانِي الكَاذِبَةِ فَيُحَدَّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ بَعَثَهُمْ لِأَكْرَمَهَمْ .

ك – إِعْراضُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ مواجَهَتِهِمْ بِالقَسَم ، وَتَوْجيهِهِ إِلَى نَبيِّهِ – ﷺ –، مَعَ أَنَّهُمْ المَعْنِيُّونَ بِهِ ، إِيذَانًا بِأَنَّ القَوْمَ لَا يَفْقَهونَ .

ل – تَلاعُبُ الشَّيْطانِ بِهِمْ ، وَتَزْيينُهُ لَهُمْ القَبائِحَ ، دَليلٌ عَلَى ضَحالَةِ تَمْييزِهِمْ ؛ إِذِ الشَّيْطانُ ضَعيفٌ كَيَدُهُ .

فَالْسِّياقُ كُلُّهُ يُنَادِي عَلَى صَنيعِهِمْ هَذَا بِالْسَّفاهَةِ وَالْفَظاعَةِ والسَّخافَةِ ، فَلَا جَرَمَ أَنْ جَاءَ القَسَم عَلَى صيغَةِ " تاللهِ" ، مَبْدوءًا بِالتَّاءِ ، لِيَتَضافَرَ إِيحَاءُ اللَّفْظِ وَالمَعْنَى عَلَى خِدْمَةِ الغَرَضِ .

وَقَدْ أَشَارَ بَعْضُ البَاحِثِينَ إِشارَةً حَسَنَةً إِلَى عَلاقَةِ مَوْضِعي القَسَم هَذَيْنِ فَقَالَ : " وَمِمَّا يَلْفِتُ الِانْتِباهَ فِي السِّيَاقِ الخاصِّ الَّذِي وَرَدَ فِيه القَسَمانِ ، أَنَّ مَا بَيْنَ القَسَميْنِ مِنْ آيَاتٍ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ الحَديثِ عَنْ نِسْبَةِ البَناتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ ذَلِكَ الشِّرْكُ الغَريبُ الَّذِي عُرِفَ عِنْدَ بَعْضِ العَرَبِ ؛ وَكَأَنَّمَا قَدْ حَفَّ الحَديثُ عَنْهُ بِقَسَمَينِ صَادِرَيْنِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِاسْمِهِ العَظيمُ مَقْرُونًا بِالتَّاءِ (تاللَّهِ) تَنْبِيهًا عَلَى خُطورَتِهِ ، وَإِشارَةً إِلَى مَا فِيه مِنْ عِظَمِ الذَّنْبِ ، وَرَغْبَةً فِي تَأْكيدِ الوَحْدانيَّةِ بِذِكْرِ الِاسْمِ الَّذِي يَتَضَمَّنُهَا وَهُوَ اسْمُ الجَلالَةِ ، مَعَ اللَّفْتِ إِلَى مَا فِي ذَلِكَ الشِّرْكُ مِنْ وُجوهِ الغَرابَةِ والتَّعَجُّبِ ، وَهُوَ مَا عَبَّرَتْ عَنْهُ تَاءُ القَسَم " [1].

الفَرْعُ الثّالِثُ : تَسْفيهُ إِبْراهيمَ – عليه السلام – لِأَصْنامِ قَوْمِهِ .

وَرَدَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى – : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء : 57].

[1]) علي الحارثي ، أسلوب القَسَم في القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 274 .

1- تحديد أركان القسم وعناصره :

نصّ الآية	الركن 1 : جملة القسم			الركن 2 : جملة جواب القسم	
	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	حرف توطئة القسم	المقسم عليه
وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ...	محذوف وجوبا تقديره : أقسم	التّاء	لفظ الجلالة : " الله "	اللّام في : لأكيدنَّ	أكيدنَّ أصنامكم

2- بيـــــان ســـــياق الآيـــــة :

جَاءَتِ الآيَةُ فِي سِيَاقِ قِصَّةِ إِبْراهيمَ – عليه السلام – مَعَ قَوْمِهِ ، وَمُحاجَتِهِ لَهُمْ لِرَدِّهِمْ عَنْ باطِلِهِمْ وَشِرْكِهِمْ ، وَهَذَا لِمَا عَلِمَهُ اللَّهُ – تَعَالَى – فِيه مِنْ الرُّشْدِ ، فَاسْتَفْهَمْ أَبَاه وَقَوْمَهُ عَنْ التَّماثيلِ وَعُكُوفِهِمْ عَلَيهَا اسْتِفْهامَ المُسْتَعْلِمِ ، وَتَجَاهَلَ تَجاهُلَ العارِفِ ، فَأَجَابُوهُ إِجابَةَ الوَاثِقِينَ مِنْ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَفْهَمَ لَا أَنْ يَعْتَرِضَ أَوْ يُسَفِّهَ ، وَلَمْ يَزِيدُوا عَلَى اِحْتِجاجِهِمْ بِآبَائِهِمْ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهَا حُجَّةٌ ناهِضَةٌ ، فَجاهَرَ إِبْراهيمَ عَلَيْهُ السَّلامُ بِتَضْليلِهِمْ وَتَضْليلِ آبَائِهِمْ مِنْ دُونِ هَوادَةٍ أَوْ تَلَطُّفٍ ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُ جادٌ فِي كَلامِهِ ، لَكِنَّهُ مَضَى فِي تَقْريرِ الحَقِّ اَلَّذِي يَعْتَقِدُهُ ، وَالَّذِي تَشْهَدُ لَهُ الفِطْرُ اَلسَّليمَةُ ، والْعُقولُ المُسْتَقِيمَةُ .

يَقُولُ اللَّهُ – تَعَالَى – : ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ** ﴾ [الأنبياء : 51 – 56] .

أَمَّا فِي هَذِهِ الآيَةِ فَإِنَّهُ انْتَقَلَ مِنْ اَلْمُحاجَجَةِ ، والجِدالِ إِلَى التَّهْديدِ ، والْفِعَالِ ، يَقُولُ الشَّوْكانيُّ (ت : 1250 هـ) [1]: " أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ سَيَنْتَقِلُ مِنَ الْمُحَاجَّةِ بِاللِّسَانِ إِلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ بِالْفِعْلِ ثِقَةً باللهِ ، وَمُحَامَاةً عَلَى دِينِهِ ، وَالْكَيْدُ : الْمَكْرُ ، يُقَالُ : كَادَهُ يَكِيدُهُ كَيْدًا وَمَكِيدَةً ، وَالْمُرَادُ هُنَا : الِاجْتِهَادُ فِي كَسْرِ الْأَصْنَامِ . قِيلَ : إِنَّهُ – عليه السلام – قَالَ ذَلِكَ سِرًّا ، وَقِيلَ : سَمِعَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ؛ أَيْ : بَعْدَ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ عِبَادَتِهَا ذَاهِبِينَ مُنْطَلِقِينَ . قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : كَانَ لَهُمْ عِيدٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ ، فَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ – عليه السلام – : لَوْ خَرَجْتَ مَعَنَا إِلَى عِيدِنَا أَعْجَبَكَ دِينُنَا، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ " [2].

3– بيان وجوه التسفيه في الآية وسياقها :

وَقَدْ احْتَشَدَ فِي سِيَاقِ الآيَةِ ، وَلِحَاقِها مِنْ القَرائِنِ اللَّفْظِيَّةِ ، وَالإِشَارَاتِ المَعْنَوِيَّةِ مَا يُسَفِّهُ الأَصْنامَ ، وَيُسَفِّهُ عَابِدِيها ، أُوْجِزُ أَهَمَّها وَأَظْهَرَها فِي النِّقاطِ الآتيَةِ :

أ – لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي عِبادَتِها سِوَى التَّقْليدِ الأَعْمَى لِلْآبَاءِ .

ب – تَأْكيدُ ضَلالِهِمْ بِعِدَّةِ مُؤَكِّداتٍ ؛ القَسَمُ المُقَدَّرُ في " وَلَقَدْ ءاتينا " ، والإِتْيانُ بِفِعْلِ الكَوْنِ في " لَقَدْ كُنتُمْ " ، الدَّالِّ عَلَى اسْتِمْرارِهِمْ عَلَيْهُ ، وَأَنَّهُ كَانَ شَأْنًا لَهُمْ ، واسْتِعْمالُ حَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ في " في ضَلالٍ مُبينٍ " ، الدّالِّ عَلَى إِحاطَةِ الضَّلالِ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، وَوَصْفُ الضَّلالَ بِالْوُضوحِ والظُّهورِ .

ج – ظَنُّهُمْ – لِشِدَّةِ غَبَائِهِمْ – أَنَّ إِبْراهِيمَ – عليه السلام – يَمْزَحُ ، كَأَنَّهُمْ بَلَغوا مَبْلَغًا مِنْ العَمَى أَنْ لَمْ يَظُنّوا أَنَّ أَحَدًا يَقْدَحُ فِي مُعْتَقَدَاتِهِمْ السَّخِيفَةِ .

---

[1]) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (1173 هـ – 1250 هـ) : فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، من أهل صنعاء . ينظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 6 ، ص 298 .

[2]) الشَّوكاني ، فتح القدير ، ج 3 ، ط 1 ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، 1414 هـ ، ص 488 .

د – تَهْديدُ إِبْراهيمَ لِآلِهَتِهِمْ – عليه السلام – بِالْكَيْدِ لَهَا هوَ تَسْفيهٌ شَديدٌ ، وَمُناداةٌ بِأَنَّهَا لَا تُدْفَعُ عَنْ نَفْسِها .

هـ – تَكْسيرُ الأَصْنامِ بِالْفِعْلِ أَبْلَغُ مِن كُلِّ بَيانٍ .

و – نِسْبَةُ التَّكْسِيرِ لِأَكْبَرِ أَصْنامِهِمْ ، وَدَعْوَتِهِمْ لِسُؤَالِهِ ، تَسْفيهٌ لَهُمْ وَلَهَا ، وَهُوَ مَا زَعْزَعَ اعْتِقادَهُمْ .

ز – انْتِكاسَتُهُمْ السَّريعَةُ عَلَى رُؤوسِهِمْ دَليلٌ عَلَى أَنَّ الباطِلَ تَمَكَّنَ مِنْهُمْ ، وَأَنَّ عُقولَهُمْ حَالَتْ دُونَهَا غَوَاشٍ كَثيفَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ رُؤْيَةِ الحَقِّ ، وَإيثارِهِ عَلَى الباطِلِ المَأْلُوفِ .

ح – الِاسْتِفْهامُ الِانْكَارِيُّ أَنْ عَبَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَا يَضُرُّهُمْ .

ط – تَسْخيفُ عُقولِهِمْ ، وَالتَّأْفيفُ فِي وُجوهِهِمْ ، وَلِآلِهَتِهِمْ .

ك – تَداعيهم لِنُصْرَةِ آلِهَتِهِمْ ، وَهُوَ اعْتِرافٌ مِنْهُمْ بِضَعْفِها عَنْ نُصْرَةِ نَفْسِها .

كُلُّ هَذِهِ القَرائِنِ واللَّطائِفِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ السِّيَاقَ مَليءٌ بِتَحْقيرِ الأَصْنامِ ، وَتَسْفيهِ عابِديها ، مِمَّا حَسُنَ مَعَهُ الإِتْيانُ فِي القَسَمِ بِحَرْفِ التّاءِ " تاللهِ " ، إِضافَةً لِما تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ تَعَجُّبِ إِبْراهيمَ – عليه السلام – مِنْ تَأَتِّي ذَلِكَ لَهُ ، وَسُهولَتِهِ عَلَيْهِ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَعْظِمُونَهَ وَيَسْتَبْعِدونَهُ !

الفَرْعُ الرّابِعُ : تَسْفيهُ أَصْحابِ الجَحيمِ لِمُعْتَقَدِهِمْ بِتَسْويَتِهِمْ الأَوْثَانِ بِاللَّهِ – تَعَالَى – .

وَرَدَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿ **تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [الشُّعراء : 97 ، 98] .

1– تحديد أركان القسم وعناصره :

نصّ الآية	جملة القسم			جملة جواب القسم	
	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	حرف توطئة القسم	المقسم عليه
تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ	محذوف وجوبا تقديره : أقسم	التَّاء	لفظ الجلالة : " الله "	إنْ	كنَّا في ضلالٍ مبينٍ

2– بيان سياق الآية :

جَاءَتِ الآيَتَانِ فِي سِيَاقِ وَصْفِ اليَوْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ فِيه مَالٌ وَلَا بَنُونٌ ، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ ، بَعْدَ حِكايَةِ اللَّهِ – تَعَالَى – نَبَأَ إِبْراهيمَ – عليه السلام – مَعَ قَوْمِهِ ، وَخَتَمَها بِدَعَواتٍ مِنْ إِبْراهيمَ – عليه السلام – لِرَبِّهِ لَهُ وَلِأَبيهِ .

وَلَمّا ذَكَرَ إِبْراهيمُ – عليه السلام – يَوْمَ البَعْثِ ، أَكْمَلَ اللَّهُ – تَعَالَى – وَصْفَهُ بِذِكْرِ أَهْلِ الجَنَّةِ فِي آيَةٍ واحِدَةٍ ، وَأَهْلِ النَّارِ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ المَقامَ فِي مُخاطَبَةِ المُشْرِكِينَ المُنْكَرِينَ لِلبَعْثِ .

وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ – تَعَالَى – المُشْرِكِينَ بِآلِهَتِهِمْ فِي المَوْقِفِ بَيْنَ يَدَيه ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ مَا لَهَا لَا تَنْصُرُ وَلَا تُنْصَرُ ، لِيَكُونَ مَآلُهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ ، وَهُنَالِكَ يَخْتَصِمُونَ .

يَقُولُ اللَّهُ – تَعَالَى – : ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ** ﴾

[الشُّـــــــــــعراء : 88-96].

وَفِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْن يُقْسِمُ أَصْحابُ الجَحيمِ قَسَمًا مُؤَكَّدًا بِنَوْعَيْنِ مِنْ التَّوْكيدِ فِي جَوابِهِ ؛ هُمَا " إِنْ " الـمُخَفَّفَةُ مِنْ الثَّقيلَةِ ، وَ لَامُ التَّوْكيدِ الفارِقَةُ [1] – عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ذَهابٍ واضِحٍ عَنْ الحَقِّ ، حِينَ سَوَّوا فِي الدُّنْيَا هَذِهِ الأَوْثَانَ بِاللَّهِ – تَعَالَى – فِي العِبادَةِ . يَقُولُ ابْنُ عَاشُورٍ (ت : 1393 هـ) : " ... أَفَادُوا تَمَكُّنَ الضَّلالِ مِنْهُمْ بِاجْتِلابِ حَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ الـمُسْتَعارِ لِمَعْنى اَلْمُلابَسَةِ ؛ لِأَنَّ الـمَظْروفَ شَديدُ اَلْمُلابَسَةِ لِظَرْفِهِ ، وَأَكَّدُوا ذَلِكَ بِوَصْفِهِمْ الضَّلالَ بِاَلْمُبينِ ؛ أَيِ الواضِحَ البَيِّنَ . وَفِي هَذَا تَسْفيهٌ مِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ ؛ إِذْ تَمَشَّى عَلَيْهَا هَذَا الضَّلالُ اَلَّذِي مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَروجَ عَلَى ذِي مُسْكَةٍ مِنْ عَقْلٍ " [2].

3– بيــان وجــوه التســفيه مــن الآيــة وســياقها :

أَقْسَمَ أصحابُ الجحيمِ على سَفاهَتِهِمْ حين اعْتِقَدُوا – في الدُّنيا – أَمْرًا ظاهِرَ البُطْلانِ ، وَيُمْكِنُ تَلْخيصُ قَرائِنِ اَلْتَسْفيهِ فِي النِّقاطِ الآتيَةِ :

أ – عِبادَتُهُمْ مَا لَا يَنْصُرُ نَفْسَهُ ، وَلَا يَنْصُرُ مِنْ اسْتَنْصَرَهُ .

ب – آلِهَتُهُمْ اَلَّتِي عَبَدُوهَا كُبْكِبَتْ مَعَهُمْ فِي جَهَنَّمَ .

ج – تَوْكيدُ جَوابِ القَسَم بِنَوْعَيْنِ مِنْ التَّوْكيدِ .

د – التَّعْبيرُ بِالْحَرْفِ " فِي " يُفِيدُ الظَّرْفِيَّةَ ، فَكَأَنَّ الضَّلالَ غَشِيَهُم مِنْ كُلِّ جانِبٍ .

هـ – وَصْفُ الضَّلالِ بِأَنَّهُ غَايةٌ فِي الوُضُوحِ .

و – التَّعْبيرُ بِالْمُضارِعِ فِي " نُسَوِّيْكُمْ " ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى اسْتِمْرارِهِمْ ، وَتَشَبُّثِهِمْ بِباطِلِهِمْ .

---

[1]) سُمِّيت بذلك لأنَّها تُفَرَّق بين " إن " المُخَففة من الثَّقيلة ، وبين " إن " النَّافية .

[2]) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 19 ، ص 153 .

ز – وَصْفُهُمْ لِلَّهِ – تَعَالَى – بِأَنَّهُ رَبُّ العالَمينَ ، يَزيدُ مِنْ قُبْحِ صَنيعِهِمْ ؛ إِذِ الـمُنْعِمُ عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ بِأَنْواعِ النِّعَمِ اَلَّتِي تَصِلُ بِهِمْ إِلَى كَمالِهِمْ لَا يَلِيقُ أَنْ يُسَوَّى بِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ .

لِأَجْلِ ذَلِكَ كَانَ مَجيءُ القَسَم بِصيغَةِ " تاللَّهِ " مُنَاسِبًا لِسِياقِ اَلْتَسْفيهِ لِما تَقَدَّمَ – مِرَارًا – مِنْ إِيحَاءِ حَرْفِ التّاءِ بِهَذَا المعْنَى .

وَقَدْ لاحَظَ بَعْضُ البَاحِثِينَ عَلاقَةً بَيْنَ قَسَمِ إِبْراهيمَ – عليه السلام – لِقَوْمِهِ عَلَى الكَيْدِ لِأَصْنامِهِمْ ، وَبَيْنَ وُرودِ قَسَمِ أَصْحابِ الجَحيمِ عَلَى ضَلالِهِمْ الـمُبينِ ، وَذَلِكَ لِوُرُودِ قَسَمِهِمْ فِي سِيَاقِ قِصَّةِ إِبْراهيمَ – عليه السلام – فِي سورَةِ الشُّعَراءِ ، وَهُوَ مَا يُوحِي أَنَّهُمَا فِي سِيَاقٍ واحِدٍ يَقُولُ : " القَسَم الأَوَّلُ صادِرٌ مِنْ إِبْراهيمَ – عليه السلام – بِصيغَةِ " تاللهِ " ، وَهُوَ قَسَمٌ يُقْسِمُ بِهِ فِي الدُّنْيَا فِي سِيَاقِ دَعْوَتِهِ لِقَوْمِهِ إِلَى التَّوْحيدِ ، وَهُوَ ذَلِكَ السِّيَاقُ اَلَّذِي يُثْبِتُ لَهُمْ فِيه عَجْزَ الأَصْنامِ اَلَّتِي يَعْبُدونَها ، وَكَوْنُهُمْ ضالّينَ فِي اتِّخاذِها آلِهَةً ، فَيَقُولُ لَهُمْ فِي الـمَوْقِعِ نَفْسِهِ : ﴿ **قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الأنبياء : 54] ، أَمَّا الآخَرُ فَقَسَمٌ صادِرٌ فِي الآخِرَةِ مِنْ الـمُشْرِكِينَ اَلَّذِينَ كَانُوا يُدْعَونَ ، فِي سِيَاقِ تَحَسُّرِهِمْ وَنَدَمِهِمْ ، مُعْتَرِفِينَ بِمَا نَسَبُهُ إِلَيْهِمْ إِبْراهيمُ – عليه السلام – مِنْ الضَّلالِ الـمُبينِ ، بَعْدَ أَنْ رَأَوْا عَجْزَ تِلْكَ الأَصْنامِ ، وَرَأَوْا سُوءَ عاقِبَتِهِمْ ، مُقْسِمينَ بِالصِّيغَةِ الـمُماثِلَةِ لِقَسَمِ إِبْراهيمَ – عليه السلام – " تاللهِ " ، وَهَذَا تَنَاسُبٌ بَديعٌ " [1].

وَهَذَا التَّنَاسُبُ بَيْنَ اَلْمَقامينِ جَارٍ عَلَى أَنَّ القَسَمَ فِي سُورَةِ الشُّعَراءِ جَاءَ فِي سِيَاقِ قِصَّةِ إِبْراهيمَ – عليه السلام – ، وَهُوَ رَأْيٌ لِبَعْضِ الـمُفَسِّرِينَ ، وَقِيلَ : إِنَّ القِصَّةَ انْتَهَتْ عِنْدَ قَوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿ **وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ** ﴾ [الشُّعراء : 87] .

[1]) علي الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، ج 2 ، ص 348 .

الفَرْعُ الخامِسُ : تَسْفيهُ صاحِبِ الجَنَّةِ لِمُعْتَقَدِ قَرينِهِ المُنْكِرِ لِلْبَعْثِ .

وَرَدَ ذَلكَ في قَوْلِهِ – تعالى – :﴿ **قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ** ﴾[الصَّافَّات : 56].

1– تحديد أركان القسم وعناصره :

نصّ الآية	الركن 1 : جملة القسم			الركن 2 : جملة جواب القسم	
	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	حرف توطئة القسم	المقسم عليه
تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ	محذوف وجوبا تقديره : أقسم	التَّاء	لفظ الجلالة : " الله "	إنْ	كِدت لَتُردينِ

2– بيان سياق الآية :

وَقَدْ جَاءَتِ الآيَةُ فِي سِيَاقٍ واحِدٍ مَعَ مَطْلَعِ السُّورَةِ ، مَعَ بُعْدِهَا عَنْهَا نِسْبِيًّا ، يَقُولُ سَيِّدُ قُطْبٍ (ت : 1385 هـ)[1]:" وَيَجْري سِيَاقُ السُّورَةِ فِي عَرْضِ مَوْضوعاتِها فِي ثَلاثَةِ أَشْواطٍ رَئيسيَّةٍ :

الشَّوْطُ الأَوَّلُ : يَتَضَمَّنُ افْتِتاحَ السّورَةِ بِالقَسَمِ بِتِلْكَ الطَّوائِفِ مِنْ المِلائِكَةِ : ﴿ **وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا** ﴾ [الصَّافَّات : 1 – 3] عَلَى وَحْدانيَّةِ اللَّهِ رَبِّ المَشارِقِ ، مُزَيِّنِ السَّماءِ بِالْكَوَاكِبِ . ثُمَّ تَجيءُ مَسْأَلَةُ الشَّياطينِ وَتَسَمُّعُهُمْ لِلْمَلأِ الأَعْلَى ، وَرَجْمُهُمْ بِالْشُّهُبِ الثّاقِبَةِ . يَتْلوها سُؤالٌ لَهُمْ : ﴿... **أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا** ... ﴾ [الصَّافَّات : 11]] أَمْ تِلْكَ الخَلائِقُ : المِلائِكَةُ والسَّماءُ والْكَواكِبُ وَالشَّيَاطِينُ وَالْشُهُبُ ؟ لِلتَّوَصُّلِ مِنْ هَذَا إِلَى تَسْفيهِ مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ عَنْ البَعْثِ ، وَإِثْباتِ مَا كَانُوا يَسْتَبْعِدونَهُ

[1]) هو سيد قطب بن إبراهيم (1324 هـ – 1387 هـ) : مفكر إسلامي مصري . ينظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 3 ، ص 147 .

وَيَسْتَهْزِئونَ بِوُقُوعِهِ . وَمِن ثَمَّ يُعْرَضُ ذَلِكَ المَشْهَدُ اَلْمُطَوَّلُ لِلْبَعْثِ والحِسابِ والنَّعيمِ والْعَذابِ ... "[1].

يقول الله – تبارك وتعالى – : ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ۝١١ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ۝١٣ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ۝١٤ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝١٥ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ۝١٦ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ۝١٧ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٩ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٠ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢١ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٢ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٣ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ۝٢٤ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٦ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٢٧ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ۝٢٨ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝٢٩ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ۝٣٠ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٣١ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ

[1]) سيِّد قطب ، في ظِلال القرآن ، دار الشروق ، ج 5 ، ط 17 ، بيروت – القاهرة ، 1412 هـ ، ص 2982 .

إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصّافّات : 1 – 55] .

أَمَّا الآيَةُ ذَاتُ القَسَمِ فَهِيَ مُخاطَبَةٌ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النّارِ كَانَ صاحِبًا لَهُ فِي الدُّنْيَا ، كَانَ يَسْعَى إِلَى تَشْكِيكِهِ فِي إِيمانِهِ بِالْبَعْثِ والْجَزاءِ ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَّ عَلَيْهِ بِالثَّبَاتِ .

يَقُولُ ابْنُ عَاشُورٍ (ت : 1393 هـ) : " وَالمَعْنَى : أَنَّكَ قَارَبَتْ أَنْ تُفْضِيَ بِي إِلَى حَالِ الرَّدَى بِإِلْحاحِكَ فِي صَرْفِي عَنْ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ لِفَرْطِ الصُّحْبَةِ ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ هِدايَةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتِهِ لَكُنْتُ مِنْ الْمُحْضَرِينَ مَعَكَ فِي العَذابِ " [1] .

3– بيان وجوه التَّسفيه من الآية وسياقها :

وَقَدْ سَبَقَ الآيَةَ إِشاراتٌ عِدَّةٌ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَسْتَهْزِؤونَ وَيَسْخَرُونَ مِنْ النَّبِيِّ – ﷺ – ، وَمِن عَقيدَةِ البَعْثِ ، والْإِيمانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ، أُلَخِّصُها فِي النِّقاطِ الآتيَةِ :

[1]) ابن عاشور ، التّحرير والتنوير ، ج 23 ، ص 118 .

أ – سُخْرِيَّتُهُمْ مِمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ – تَعَالَى – بِهِ مِنَ الأَخْبارِ الصَّادِقَةِ ، وَمِنْهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ .

ب – اِسْتِسْخَارْهِمْ – وهُوَ أَشَدُّ السُّخْرِيَةِ – مِنْ الْآيَاتِ اَلَّتِي أَيَّدَ اللَّهُ – تَعَالَى – بِهَا نَبِيَّهُ – ﷺ– لِلدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِ نُبوَّتِهِ .

ج – وَصْفُهُمْ لِما جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ – ﷺ – بِأَنَّهُ سِحْرٌ ظاهِرٌ لَا شَكَّ فِيه .

هـ – رَمْيُهُمْ نَبِيَّ اللَّهِ – ﷺ – بِأَنَّهُ مُجَرَّدُ شاعِرٍ ، أَوْ أَنَّهُ مَجْنونٌ لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ .

وَلَمّا تَكَرَّرَتْ هَذِهِ السُّخْرِيَاتُ ، وَآذَوا نَبِيَّ اللَّهِ – تَعَالَى – ، وَالمُؤْمِنِينَ ، جَاءَتْ مُخاطَبَتُهُمْ ، وَمُجابَهَتُهُمْ بِقَسَمٍ يُنَادِي عَلَيْهِمْ بِتَسْفيهِ عُقُولِهِمْ ، وَ يُعْلِنُ عَنْ شِدَّةِ رُعونَتِهِمْ حِينَمَا كَانُوا يُشَكِّكُونَ عِبادَ اللَّهِ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ فِي إِيمانِهِمْ بِرَبِّهِمْ ، وَبِوَعْدِهِ .

كَمَا أَنَّ فِي اخْتيارِ القَسَم بِالتَّاءِ هُنَا مَلْمَحٌ مِنْ التَّعَجُّبِ والْغَرابَةِ ، يَقُولُ ابْنُ عَاشُورٍ (ت : 1393 هـ) : " وَمَحَلُّ الغَرابَةِ هوَ خَلاصُهُ مِنْ شَبَكَةِ قَرِينِهِ ، واخْتِلافِ حَالِ عَاقَبَتَيْهِمَا مَعَ مَا كَانَا عَلَيْهُ مِنْ شِدَّةِ المُلازَمَةِ والصُّحْبَةِ ، وَمَا حَفَّهُ مِنْ نِعْمَةِ الهِدايَةِ ، وَمَا تَوَرُّطَ قَرِينُهُ فِي أَوْحَالِ الغِوايَـــــةِ " [1] .

وَقَدْ لاحَظَ بَعْضُ البَاحِثِينَ مُناسَباتٍ عِدَّةً تُقَوِّي العَلاقَةَ بَيْنَ قَسَمِ المُؤْمِنِ فِي جَنّاتِ النَّعيمِ فِي سُورَةِ الصّافّاتِ ، وَقَسَمِ أَصْحابِ الجَحيمِ فِي الشُّعَراءِ ، أُلَخِّصُها فِي النِّقاطِ الآتيَةِ :

أ – زَمانُ القَسَم واحِدٌ وَهُوَ الدّارُ الآخِرَةُ .

ب – تَكْـــرارُ لَفْظِ الجَحيمِ فِي المَوْضِعَيْنِ : ﴿ **وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ** ﴾ [الشّعراء : 91] ، ﴿ **فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ** ﴾ [الصّافّات : 55] .

[1]) المصدر السَّابق ، ج 23 ، ص 117 .

ج – قَسَمُ الشُّعَراءِ وَرَدَ فِي سِيَاقِ حَديثِ الـمُشْرِكِينَ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ فِي جَهَنَّمَ ، وَقَسَمُ الصّافّاتِ وَرَدَ فِي سِيَاقِ حَديثِ أَصْحابِ الجَنَّةِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ .

د – قَسَمُ الشُّعَراءِ نَدَمٌ وَحَسْرَةً عَلَى التَّفْريطِ فِي الدُّنْيَا ، وَقَسَمُ الصّافّاتِ فَرْحَةٌ وَاغْتِباطٌ بِنوال الفَضْلِ ، وَبِالنَّجاةِ مِنَ النَّارِ الَّتِي أَصْبَحَ أَقْرَبُ النّاسِ مِنْ أَهْلِها .

هـ – ذُكِرَ اسْمُ الرَّبِّ فِي الـمَوْضِعَيْنِ : ﴿ **إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [الشعراء : 98] ، ﴿ **وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ** ﴾ [الصّافّات : 57] ، فَكَأَنَّ الـمُشْرِكِينَ يَطْلُبُونَ الرَّحْمَةَ مِنْ طَرِيقٍ خَفِيٍّ ، حَيْثُ يُثْبِتُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَوْعًا مِنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، أَمَّا الـمُؤْمِنُ فَهُوَ يَتَحَدَّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ – تعالى – عَلَيْهِ ، وَلُطْفِهِ بِهِ ، وَلِذَلِكَ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ.

و – اسْتِعْمالُ " إِنْ " الـمُخَفَّفَةِ مِنَ الثَّقيلَةِ ، تَلِيهَا اللّامُ الفارِقَةُ فِي جُمْلَةِ جَوابِ القَسَمِ : ﴿ ... **إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الشُّعراء : 97] ، ﴿ ... **إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ** ﴾ [الصّافّات : 56].

ز – قَسَمُ الشُّعَراءِ يَرِدُ فِي سِيَاقِ وَصْفِ مَصيرِ الـمُشْرِكِينَ ، وَمَا يَنْتَظِرُهُمْ فِي الجَحيمِ ، وَقَسَمُ الصّافّاتِ يَرِدُ فِي سِيَاقِ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ .

ح – الـمَوْضِعَانِ يَرْدانِ مُتواليينَ فِي تَرْتيبِ الـمُصْحَفِ ، وَهُوَ مَا يُؤَكِّدُ الصِّلَةَ بَيْنَهُمَا [1] .

وَفِي نِهايَةِ هَذَا الـمَطْلَبِ ، وَحَتَّى تَكُونَ نَتائِجُهُ سَليمَةً ، فَإِنَّنَا بِحَاجَةٍ إِلَى إِثْباتِ أَمْرٍ هامٍّ ؛ وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي القُرْآنِ الكَريمِ تَسْفيهُ عَقيدَةٍ باطِلَةٍ بِطَريقِ القَسَمِ إِلَّا بِهَذِهِ الصّيغَةِ " تاللهِ " ، وَهُوَ الأَمْرُ الَّذِي تَأَكَّدَ لِي بَعْدَ التَّتَبُّعِ والِاسْتِقْراءِ فِي القُرْآنِ الكَريمِ ، أَمَّا مَا وَرَدَ فِيه بِغَيْرِ هَذِهِ الصّيغَةِ فَإِنَّهُ قَسَمٌ عَلَى إِثْباتِ اعْتِقادٍ صَحيحٍ أَو عَلَى أَمْرٍ غَيرَ ذَلكَ .

[1]) ينظر : علي الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، ج 2 ، ص 365 ، 366 .

كَمَا أَنَّنَا نُلاحِظُ أَنَّ هَذِهِ الأَقْسَامَ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ وَبِهَذَا الغَرَضِ جَاءَتْ مُتَواليَةً فِي تَرْتيبِ المُصْحَفِ ، وَهُوَ الأَمْرُ اَلَّذِي يُوْثِّقُ الصِّلَةَ بَيْنَها ، وَيَجْعَلُ سِيَاقَهَا بَعْضَهُ مِنْ بَعْضٍ ، واللَّهُ أَعْلَمُ

المَطْلَبُ الثَّانِي : القَسَم بِالتَّاءِ تَضْعيفًا لِرَأْيِ وَتَوْهينِهِ .

وَرَدَ ذَلِكَ فِي ثَلاثَةِ مَواضِعَ فِي سِيَاقٍ واحِدٍ ، وَهُوَ سياق قِصَّةِ يوسُفَ – عليه السلام – ، وَكُلُّهَا كَانَتْ مِنْ إِخْوَتِهِ ، فَأَحَدُها موَجَّهٌ لِفِتْيانِ يوسُفَ – عليه السلام – ، وَثَانِيهَا ليوسُفَ – عليه السلام – نَفْسِهِ ، والثّالِثُ لِأَبيهم يَعْقوبَ – عليه السلام – ، وسَأُخَصِّصُ لِكُلٍّ مِنْهَا فَرْعًا لِمَزِيدِ بَيانِهِ وَإيضاحِهِ ، وَذَلِكَ عَلى النَّحْوِ الآتِي :

اَلْفَرْعُ الأَوَّلُ : تَضْعيفُ إِخْوَةِ يوسُفَ – عليه السلام – لِرَأْيِ مِنْ اتَّهَمَهُمْ بِالسَّرِقَةِ .

وَرَدَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿ **قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ** ﴾ [يوسف : 73]

1– تحديد أركان القسم وعناصره :

نصّ الآية	الركن 1 : جملة القسم			الركن 2 : جملة جواب القسم	
	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	حرف توطئة القسم	المقسم عليه
تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ	محذوف وجوبا تقديره : أقسم	التَّاء	لفظ الجلالة: " الله "	لَقَدْ	علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض

2– بيـــــان ســـــياق الآيـــــة :

اضْطُرَّ إِخْوَةُ يوسُفَ – عليه السلام – لِلْقِسَمِ لَمَّا اتُّهِمُوا بِمَا اسْتَعْظَمُوهُ – وَهُوَ السَّرِقَةُ – ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فَحَسْبُ ، بَلْ نُودِيَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ فِي النّاسِ ، وَهُوَ أَمْرٌ يَأْبَاه كُلُّ شَريفٍ عَلَى نَفْسِهِ ، فَقِيلَ لَهُمْ : ﴿... **أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ** ﴾ [يوسف : 70] ، خَبَرًا مُؤَكَّدًا بِتَوْكيدينِ ؛ " إِنْ " ، واللّامُ فِي الخَبَرِ " لسارقون " ، فَقَابَلُوا التَّوْكيدَ بِتَوْكيدٍ مِثْلِهِ .

وَإِنَّمَا " أُسْنِدَتِ السَّرِقَةُ إِلَى جَمِيعِهِمْ جَرْيًا عَلَى الـمُعْتادِ مِنْ مُؤاخَذَةِ الجَماعَةِ بِجُرْمِ الواحِدِ مِـــــــــنْهُمْ " [1].

2- بيـان وجـوه تضـعيف الـرأي مـن الآيـة وسـياقها :

وَقَدْ نَفَوْا عَنْ أَنْفُسِهِمْ التُّهْمَةِ نَفْيًا جَازِمًا ، وَضَعَّفُوا رَأْيَ مَنِ اتَّهَمَهُمْ بِالسَّرِقَةِ ، وَحَشْدوا لِذَلِكَ قَرائِنَ لَفْظِيَّةً وَمَعْنَوِيَّةً ، أُلَخِّصُها فِي النِّقاطِ الآتيَةِ :

أ – سُؤالُهُمْ سُؤالَ الواثِقِ مِنْ بَراءَتِهِ لِلْفِتْيَانِ : مَا الَّذِي تَفْقِدونَهُ ؟ دُونَ ارْتِباكٍ أَوْ تَلَعْثُمٍ [2].

ب – التَّعْبيرُ بِـ" تَفْقِدونَ " قَرِينَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ عَلَى بَراءَتِهِمْ ، يَقُولُ أَبُو السُّعُودِ (ت : 982 هـ) [3]: " العُدولُ عَمَّا يَقْتَضيهِ الظَّاهِرُ مِن قَوْلِهِم : " مَاذَا سُرِقَ مِنْكُمْ " لِبَيَانِ كَمالِ نَزاهَتِهِمْ ، بِإِظْهَارِ أَنَّهُ لَمْ يُسْرَقْ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، فَضْلًا أَنْ يَكُونُوا هُمُ اَلسَّارِقِينَ لَهُ ، وَإِنَّمَا الـمُمْكِنُ أَنْ يَضِيعَ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، فَيسْأَلُوهُمْ أَنَّهُ مَاذَا ، وَفِيه إِرْشادٌ لَهُمْ إِلَى مُراعاةِ حُسْنِ الأَدَبِ ، والِاحْتِرازِ عَنْ الـمُجازَفَةِ ، وَنِسْبَةِ البُرَآءِ إِلَى مَا لَا خَيْرَ فِيه ، لَا سِيَّمَا بِطَرِيقِ التَّوْكيدِ ، فَلِذَلِكَ غَيَّرُوا كَلامَهُمْ حَيْثُ قَالُوا فِي جوابهم : ﴿ **نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ** ﴾ [يوسف : 72] وَلَمْ يَقُولُوا : سَرَقْتُمُوهُ أَوْ سُرِقَ " [4]

ج – احْتِجاجُهُمْ عَلَى فِتْيانِ يوسُفَ – عليه السلام – اَلَّذِينَ اتَّهَمُوهُمَ مَعَ مَا عِلِمُوهُ عَنْهُمْ مِنْ بَراءَتِهِمْ مِنْ كُلِّ التُّهَمِ اَلَّتِي أُلْصِقَتْ بِهِمْ سَابِقًا ، وَمَا اشْتُهِرَ مِنْ نَزاهَتِهِمْ فِي مُعامَلاتِهِمْ بِأَرْضِ مِصْرَ .

---

[1]) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 13 ، ص 28 .

[2]) ينظر : علي الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، ج 2 ، ص 282 .

[3]) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، المولى أبو السعود (898 هـ – 982 هـ) : مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين . ينظر : الزركلي ، الأعلام ، ج 7 ، ص 59 .

[4]) أبو السّعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التّراث العربي ، ج 4 ، (دط) ، بيروت ، (دت) ،ص 294 ، 295 .

د– نَفَوْا عَن أَنْفُسِهِم السَّرِقَةَ بِنَفْيِ الكَينُونَةِ ، دُونَ أَنْ يَقُولُوا : وَمَا جِئْنَا سارِقِينَ ، وَهُوَ أَبْلُغُ فِي التَّبْرِئَةِ ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ (ت : 774 هـ) : " أَيْ : لَيْسَتْ سَجايانا تَقْتَضِي هَذِهِ الصِّفَةَ " [1] . وَالْنُكْتَةُ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ صِيغَةِ نَفْيِ الإِفْسادِ ، وَصِيغَةِ نَفْيَ السَّرِقَةِ مَا بَيْنَهُ ابْنُ عَاشُورٍ (ت : 1393 هـ) بِقَوْلِهِ : " ... نَفَوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ الِاتِّصافَ بِالسَّرِقَةِ بِأَبْلَغَ مِمَّا نَفَوْا بِهِ الإِفْسادَ عَنْهُمْ ؛ وَذَلِكَ بِنَفْيِ الكَوْنِ سارِقِينَ دُونَ أَنْ يَقُولُوا : وَمَا جِئْنَا لِنَسْرِقَ ، لِأَنَّ السَّرِقَةَ وَصْفٌ يُتَعَيَّرُ بِهِ ، وَأَمَّا الإِفْسادُ اَلَّذِي نَفَوْهُ ؛ أَيْ التَّجَسُّسَ ، فَهُوَ مِمَّا يَقْصِدُهُ العَدوُّ عَلَى عَدُوِّهِ فَلَا يَكونُ عَارًا ، وَلَكِنَّهُ اعْتِداءٌ فِي نَظَرِ العَدوِّ " [2] .

هـ– جَوابُهُمْ جَوابَ الواثِقِ مِنْ بَراءَتِهِ حِينَ سُئِلُوا : ﴿...**فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ** ﴾ [يوسف : 74] ، فَجَعَلُوا جَزاءَ السّارِقِ أَنْ يَصيرَ رَقِيقًا لَدَى المَلِكِ : ﴿ **جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ** ... ﴾ [يوسف : 75] ، والتَّصْريحُ بِهَذَا الحُكْمِ اَلْقَاسِي لَا يَقْوَى عَلَيْهُ إِلَّا الواثِقُ مِنْ بَراءَتِهِ .

كُلُّ هَذِهِ القَرائِنِ اللَّفْظِيَّةِ والْمَعْنَوِيَّةِ تَضافَرَتْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِبْطالِ التُّهْمَةِ ، وَتَضْعيفِها ، وَتَضْعيفُها تَضْعيفٌ لِرَأْيِ المُتَّهِمِ ، فَنَاسَبَ أَنْ تَأْتِيَ صيغَةُ القَسَمِ بِالتَّاءِ (تاللهِ) الموحيَةِ بِبَداءَتِها بِهَذَا الصَّوْتِ بِاَلْوَهْنِ والضَّعْفِ .

إِضافَةً إِلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّ جَوابَهُمْ كَانَ مُفْعَمًا بِوُجوهٍ مِنْ الِاسْتِغْرابِ والتَّعَجُّبِ ، يَقُولُ عَليٌّ الحارِثِيُّ : " ... تَعَجَّبوا مِنْ إِضافَةِ الفِتْيانِ السَّرِقَةَ إِلَيْهِمْ مَعَ مَا عَلِموا مِنْ أَمانَتِهِمْ وَدِينِهِمْ ؛ فَلِسانُ حالِهِمْ فِي هَذَا المَقامِ يَقُولُ : كَيْفَ تَرْمُونَنَا بِالسَّرِقَةِ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مِنْ أَمَانَتِنَا وَديننا مَا يَدْفَعُ هَذَا الِاتِّهَامَ ! ؟ ... فَلَا يَخْفَى مَا فِي المَوْقِفِ اَلَّذِي أَقْسَمَ فِيه الإِخْوَةُ مِنْ الشُّعورِ بِالدَّهْشَةِ والِاسْتِغْرابِ وَشِدَّةِ الغَضَبِ ، فَكَأَنَّ التّاءَ اَلَّتِي وَرَدَتْ فِي القَسَمِ المُسْنَدِ إِلَيْهُمْ تُعَبِّرُ عَنْ تِلْكَ

[1]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار طيبة ، ج 4 ، ط 2 ، الرياض ، 1420 هـ ، ص 401 .
[2]) ابن عاشور ، التّحرير والتّنوير ، ج 13 ، ص 29 .

اَلْإِنْفِعـــالاتِ الـــمُصاحِبَةِ لِلْقِسْـــمِ ... " [1] .

اَلْفَرْعُ الثَّانِي : تَضْعيفُ إخوة يوسف – عليه السلام – لرَأْيِهِمْ فِيه حِينَ كَادُوا لَهُ .

وَرَدَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿ **قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ** ﴾ [يوسف : 91] .

1– تحديد أركان القسم وعناصره :

نصّ الآية	الركن 1 : جملة القسم			الركن 2 : جملة جواب القسم	
	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	حرف توطئة القسم	المقسم عليه
تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا	محذوف وجوبا تقديره : أقسم	التَّاء	لفظ الجلالة : " الله "	لقد	آثرك الله علينا

هَذَا القَسَم " ... يَأْتِي فِي سِيَاقِ الجُزْءِ الأَخيرِ مِنْ قِصَّةِ يوسُفَ – عليه السلام – ، وَهُوَ ذَلِكَ الجُزْءُ اَلَّذِي يَبْدَأُ بِكَيْدِ يـوسُفَ – عليه السلام – لِإِخْوَتِهِ لِيَأْخُذَ بِنْيَامِينْ عِنْدَهُ . وَيَرِدُ القَسَمُ هُنَا مِنْ إِخْوَةِ يـوسُفَ – عليه السلام – بَعْدَ أَنْ انْكَشَفَ أَمْرُ العَزِيزِ ، وَعَرَفوا أَنَّهُ أَخُوهُم يـوسُفُ – عليه السلام – ، وَذَلِكَ حِينَ : ﴿ **قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ** ﴾ [يوسف : 90 – 92] " [2].

وَأَمَّا آيَةُ القَسَمِ فَظَاهِرَةُ المَعْنَى ، يَقُولُ الطَّبَرِيُّ (ت : 310 هـ) : " يَقُولُ – جَلَّ ثَنَاؤُهُ – :

[1]) علي الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، ج 2 ، ص 286 .

[2]) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 299 .

قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لَهُ : تَاللهِ لَقَدْ فَضَّلَكَ اللهُ عَلَيْنا ، وَآثَرَكَ بِالْعِلْمِ والْحِلْمِ والْفَضْلِ ، ﴿ ... **وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ** ﴾ [يوسف : 91] ، يَقُولُ : وَمَا كُنَّا فِي فِعْلِنا الَّذِي فَعَلْنا بِكَ ، فِي تَفْرِيقِنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبيكَ وَأَخيك ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صَنيعِنا الَّذِي صَنَعَنَا بِكَ ، إِلَّا خاطِئِينَ يَعْنُونَ : مُخْطِئِينَ " [1] .

وَقَوْلُ يوسُفُ – عليه السلام – لَهُمْ : ﴿... **إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ** ﴾ [يوسف : 89] لَا يَعْنِي الجَهْلَ الَّذِي يُضادُّ العِلْمَ ، بَلِ الَّذِي يُضادُّ الحِلْمَ والْعَقْلَ ، قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ (ت : 110 هـ) [2]: إِذْ أَنْتُمْ شَبَابٌ ، وَمَعَكُمْ جَهْلُ الشَّبَابِ [3].

وَالمُلَاحَظُ أَنَّ الآيَةَ تَضَمَّنَتْ عِدَّةَ مُؤَكِّداتٍ بِالْإِضَافَةِ إِلَى القَسَم ، وَكُلُّهَا فِي الظَّاهِرِ تَنْصَبُّ عَلَى المُقْسَمِ عَلَيْهِ أَوْ جَوابِ القَسَم ، إِلَّا أَنَّهَا فِي الحَقِيقَةِ وَرَدَتْ " ... لِتَأْكِيدِ مَا تَضَمَّنَهُ المُقْسَمُ عَلَيْهِ مِنْ الِاعْتِرافِ بِالذَّنْبِ ، والنَّدَمِ عَلَيْهِ ، والتَّوْبَةِ مِنْهُ ، والِاعْتِذارِ عَنْهُ ، والِاسْتِغْفارِ وَطَلَبِ الصَّفْحِ والْإِحْسانِ ... " [4].

وَيُمْكِنُ تَلْخيصُ أَهَمِّ مَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ رَأْيِهِمْ ، وَسُوءِ اخْتيارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ خِلالِ سِيَاقِ الْآيَاتِ فِي النِّقاطِ الآتيَةِ :

1 – وَصْفُ يُوسُفَ – عليه السلام – لَهُمْ بِالْجَهْلِ ؛ أَيْ الطَّيْشِ وَالْنَّزَقِ حِينَ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا .

---

[1]) ابن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 16 ، ص 245 . وتفسيره خاطئين بمخطئين يخالفه فيه أكثر اللغويين والمفسرين الذين جعلوا خاطئين للمُتعمِّد مخالفةَ الصواب ، ومخطئين لغير المتعمِّد . ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 10 ، ص 356 .

[2]) هو الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد (21 هـ – 110 هـ) : تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه . ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 4 ، ص 563 .

[3]) ينظر : البغوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، دار طيبة ، ج 4 ، ط 4 ، 1417 هـ ، الرياض ، ص 273 .

[4]) علي الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، ج 2 ، ص 300 .

2 – وَصَفُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَصْفًا مُؤَكَّدًا بِـ "الْخاطِئِينَ " ؛ أَيْ الآثِمِينَ ، وَهُوَ " ... لِبْيَانِ أَنَّ مَا فَعَلُوه قَدْ كَانَ خَطَأً مَحْضًا ، لَيْسَ فِيه أَدْنَى صَوابٍ ، وَأَنَّهُمْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَفْطِنوا إِلَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الحُكْمَ بِكَوْنِهِ ذَنْبًا فِي غايَةِ الظُّهورِ والْوُضوحِ ، بِحَيْثُ يَتَيَسَّرُ لِكُلِّ أَحَدٍ ، فَكَيْفَ خَفيَ ذَلِكَ عَلَيْهُمْ !؟ وكِيفَ خَفيَ عَلَيْهُمْ جَمِيعًا وَلَمْ يَنْتَبِهْ إِلَيْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ !؟ بَلْ كَيْفَ فَعَلُوه عَلَى سَـــبيلِ القَصْـــدِ والْعَمْـــدِ !؟ " [1] .

وَقَدْ نَاسَبَ ذَلِكَ مَجِيءُ القَسَمِ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ (تاللَّهِ) ، اَلَّتِي تُوحِي بِتَوْهِينِ الرَّأْيِ ، وَتَضْعيفِ الِاخْتيارِ ، وَذَلِكَ بِابْتِدائِها بِحَرْفِ التّاءِ ذِي الصَّوْتِ المُوحِي بِكُلَّ ذَلِكَ .

كَمَا أَنَّ المَقامَ – مَعَ ذَلِكَ – فِيه كَثيرٌ مِنْ الدَّهْشَةِ والذُّهولِ ، فَجَاءَتْ تَاءُ القَسَم لِتُشيرَ إِلَى ذَلِكَ ، يَقُولُ عَليَّ الحارِثِيُّ : " ... إِنَّ قَوْلَ إِخْوَةِ يوسُفَ – عليه السلام – : ﴿ ... **تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ** ﴾ [يوسف : 91] يُشِيرُ إِلَى قَدْرٍ غَيْرِ يَسيرٍ مِنْ التَّعَجُّبِ والِاسْتِغْرابِ وَالِاسْتِبْعَادِ فِي آنٍ ؛ فَفِيه تَعَجُّبٌ وَاسْتِغْرابٌ مِنْ نَجاتِهِ مِنْ ذَلِكَ الكَيْدِ اَلَّذِي لَا يَكَادُ يَنْجو مِنْهُ أَحَدٌ ، وَقَدْ كَانُوا يَسْتَبْعِدُونَ ذَلِكَ كُلَّ البُعْدِ ... وَإِنَّهُ لِأَمْرٌ عَجيبٌ وَبَعيدٌ كُلَّ البُعْدِ أَنْ يَنْجوَ مَنْ كَانَ فِي عِدَادِ الهَالِكِينَ ، ثُمَّ لَا يَقِفُ الأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ ، بَلْ يَتَعَدَّاه إِلَى أَنْ يَكونَ عَزِيزَ مِصْرَ ، ثُمَّ يَكُونُونَ فِيمَنْ يَسْأَلُونَهُ ويَتَذَلَّلونَ بَيْنَ يَدَيه ، ثُمَّ يُهَيْمِنُ عَلَيْهِمْ بِكَيْدِهِ المُحْكَمِ ... ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهُ يَسْتَعْطِفُونَهُ ، وَيَسْتَجْدونَ عَوَنَهُ وَعَطِيَّتَهُ ، أَلَيْسَ ذَلِكَ عَجيبًا فِي مِثْلِ قِصَّتِهِمْ مَعَ أَخيهم يوسُفَ – عليه السلام – !؟ " [2] .

الفَرْعُ الثّالِثُ : تَضْعيفُ إِخْوَةِ يوسُفَ لِرَأْيِ أَبِيهم يَعْقوبَ – عَلَيْهِمَا السَّلامُ – .

وَرَدَ ذَلِكَ فِي قَـــوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿ **قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ** ﴾ [يوسف : 95] .

---

[1]) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 302 .

[2]) علي الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، ج 2 ، ص 303 .

1- تحديد أركان القسم وعناصره :

نصّ الآية	الركن 1 : جملة القسم			الركن 2 : جملة جواب القسم	
	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	حرف توطئة القسم	المقسم عليه
تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ	محذوف وجوبا تقديره : أقسم	التَّاء	لفظ الجلالة : " الله "	إنَّ	ـكَ لَفي ضلالٍ مبينٍ

2- بيـــــــان ســـــــياق الآيـــــــة :

جَاءَتِ هَذِهِ الآيَةُ فِي سِيَاقِ الآيَةِ السَّابِقَةِ ، فَلَيْسَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِضْعُ آيَاتٍ ، ذَلِكَ أَنَّ يوسُفَ – عليه السلام – بَعْدَ أَنْ تَعَرَّفَ إِلَى إِخْوَتِهِ فَعْرَفُوهُ ، وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهُ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ ، واسْتَغْفَرَ لَهُمْ – أَرَادَ أَنْ يَرِفَّ البُشْرَى لِأَبِيه ، وَأَنْ يَجْتَمِعَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ طُولِ غِيَابٍ ، فَأَمَرَ بِإِرْسَالِ قَميصِهِ حَالًا إِلَى أَبِيهِ .

يَقُولُ اللَّهُ – تَعَالَى – : ﴿ **ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ** ﴾[يوسف : 93 – 95].

يَقُولُ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت : 538 هـ) : " اَلتَفْنيدُ : النِّسْبَةُ إِلَى اَلْفَنَدِ ، وَهُوَ الخَرَفُ ، وَإِنْكارُ العَقْلِ مِنْ هَرَمٍ " [1] . وَقِيلَ : اَلتَفْنيدُ : التَّكْذيبُ ، وَقِيلَ : اَلتَسْفيهُ ، وَقِيلَ : تَضْعيفُ الرَّأْيِ [2] ، وَهِيَ أَقْوالٌ مُتَقارِبَةٌ وَمُتَلازِمَةٌ ، وَ الجامِعُ لَهَا تَضْعيفُ الرَّأْيِ ، يَقُولُ الشَّوْكانيُّ (ت : 1250 هـ) : " وَقَالَ ابْنُ الأَعْرابِيُّ (ت : 231 هـ) : " لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدونَ " لَوْلَا أَنْ تُضَعِّفُوا رَأْيِي . وَرُوِيَ مِثْلُهُ

[1]) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي ، ج 2 ، ط 3 ، بيروت ، 1407 هـ ، ص 504 .

[2]) ينظر : الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 16 ، ص 252 .

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ (ت : 209 هـ) [1]. وَقَالَ الْأَخْفَشُ (ت : 215 هـ) : التَّفْنِيدُ اللَّوْمُ وَضَعْفُ الرَّأْيِ . وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي رَاجِعٌ إِلَى التَّعْجِيزِ وَتَضْعِيفِ الرَّأْيِ ... " [2] .

وَالمَعْنَى – كَمَا يَقُولُ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت : 538 هـ) – : " لَوْلَا تَفْنِيدُكُمْ إِيَّايَ لَصَدَّقْتُمُونِي " [3] .

وَقَدْ وَقَعَ مَا خَشِيَهُ يَعْقوبُ – عليه السلام – مِنْ سَامِعِيهِ ، وَهُمْ أَحْفادُهُ ، وَمَن بَقِيَ مِنْ أَوْلادِهِ مِمَّنْ لَمْ يَذْهَبُوا مَعَ إِخْوَتِهِمْ يَمْتَارُونَ ، فَقَدْ فَنَّدُوهُ بِقَوْلِهِمْ لَهُ فِي جُزْأَةٍ : ﴿ ... **إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ** ﴾ [يوسف : 95] . قَالَ ابنُ عَاشُور (ت : 1393 هـ) : " وَالْمَعْنَى : أَنَّكَ مُسْتَمِرٌّ على التَّلَبُّسِ بِتَطَلُّبِ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ . أَرَادُوا طَمَعَهُ فِي لِقَاءِ يُوسُفَ – عليه السلام – ، وَوَصَفُوا ذَلِكَ بِـ " الْقَدِيمِ " لِطُولِ مُدَّتِهِ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ غَيْبَةِ يُوسُفَ عَنْ أَبِيهِ – عَلَيْهِمَا السّلام – اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً " [4] .

3– بيان وجوه تضعيف الرأي من الآية وسياقها :

قَدْ تَضَمَّنَ السِّيَاقُ قَرِينَتِين لَفْظِيَّتِينِ ، تَدُلَّانِ عَلَى تَضْعِيفِ الرَّأْيِ ،أُلَخِّصُهُمَا على النَّحْوِ الآتِي :

أ – تَوَقُّعُ يَعْقوبَ – عليه السلام – مِمَّنْ حَوْلَهُ ذَلِكَ ، فَقَدْ سَبَقَ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِثْلُهُ ، وَلِذَلِكَ أَكَّدَ قَوْلَهُ لَهُمْ : ﴿ ... **إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ** ... ﴾ [يوسف : 94] ، بِمُؤَكِّدَينَ : إِنَّ ، وَلَامُ التَّوْكِيدِ فِي " لَأَجِدُ " .

ب – تَضْليلُ أَبْنَائِهِ وَأَحْفَادِهِ لَهُ ، وَقَدْ أَكَّدُوا ذَلِكَ تَوْكِيدًا بَالِغًا ، بِالقَسَم ، وَإِنَّ ، وَلَامِ التَّوْكِيدِ ، إِضافَةً إِلَى اِسْتِعْمالِهِمْ الظَّرْفِيَّةِ فِي وَصْفَهُمْ لَهُ بِالضَّلَالِ فِي قَوْلِهِمْ لُهُ : " في ضلالك " ، يَقُولُ

---

[1]) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء ، البصري ، أبو عبيد النحوي (110 هـ – 209 هـ) : من أئمة العلم بالأدب واللغة ، مولده ووفاته في البصرة . ينظر : السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج 2 ، ص 294 .

[2]) الشوكاني ، فتح القدير ، ج 3 ، ص 64 .

[3]) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج 2 ، ص 504 .

[4]) ابن عاشور ، التّحرير والتّنوير ، ج 13 ، ص 53 .

ابْـنُ عَاشُـورٍ (ت : 1393 هـ) : " والظَّرْفيَّـةُ مَجـازٌ فِي قُـوَّةِ الِاتِّصـافِ وَالْتَلَـبُّسِ ، وَأَنَّـهُ كَتَلَـبُّسِ المَظْروفِ بِالظَّرْفِ " [1] .

وَعَلَى ذَلِكَ نَاسَبَ إِقْسامُهُمْ بِصيغَةِ (تاللهِ) مَا أَرَادُوهُ مِن تَضْعِيفِ رَأْيِهِ ؛ فَإِنَّها تُوحِي بِذَلِكَ كَمَا سَبَقَ بَيانُهُ مِرارًا .

كَمَا أَنَّ مَا فِي كَلامِ أَبِيهم مِنْ الغَرابَةِ جَعَلَهُمْ يَذْهَبُونَ فِي التَّعَجُّبِ مَذْهَبًا بَعِيدًا،يَقُولُ عَليَّ الحـارِثِيُّ :" إِنَّ هَـذَا الـمَوْقِفَ مِـنْ يَعْقـوبَ – عليه السلام – غَريـبٌ وَعَجيـبٌ ، بِاعْتِبَـارِ مَـا عِنْـدَ الـمُتَكَلِّمِينَ مِـنْ العِلْـمِ بِمَصيرِ يوسُـفَ – عليه السلام –، وَقَلَّمَـا يَقَـعُ عَلَى هَـذَا النَّحْـوِ الَّـذِي وَقَـعَ مِـنْ أَبِيهم ... وَتَلاؤُمًا مَعَ مَا فِي الأَمْرِ الـمُقْسَمِ عَلَيْهِ ،وَمَا تَحْتَهُ مِنْ وُجوهِ الغَرابَةِ والنُّدْرَةِ ، جَاءَتِ التّاءُ فِي عَناصِرِ هَذَا القَسَم .. فَكوْنُ يَعْقوبُ – عليه السلام – يَجِدُ رِيحَ يوسُفَ – عليه السلام – مِنْ بَعيدٍ غَريبٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ..وَإِذَا كَانَ هَذَا الأَمْرُ غَرِيبًا مُسْتَبْعَدًا عِنْدَ مَنْ عَلِمَ بِحَيَاةِ يُوسُفَ– عليه السلام – وَمَكانِهِ ، فَهُوَ عِنْدَ مِنْ تَيَقَّنَ مَوَتَهُ – وَهُمْ إِخْوَةُ يوسُفَ – أَغْرَبُ ،وَأَبْعَدُ ،وَأَعْجَبَ ... " [2]

وَتَلْخيصًا لِما تَقَدَّمَ فِي هَذا الـمَطْلَبِ ، فَإِنَّ الثَّلاثَةَ الـمَواضِعَ الـمُتَقَدِّمَةَ مِنْ سُورَةِ يوسُفَ – عليه السلام – يَظْهَـرُ فِيهَـا جَلِيًّـا مَجـيءُ هَـذِهِ الصّـيغَةِ مِـنْ القَسَـم (تـاللهِ) فِي سـياقِ تَـوْهِينِ رَأْيٍ وَتَضْـعيفِهِ ، وَهُـوَ مُناسِـبٌ لِأَحْـدَاثِ القِصَّـةِ وَوَقَائِعِهَـا المتَعَـدِّدَةِ الَّـتِي هِـيَ نِتـاجُ اتِّخـاذِ قَـراراتٍ ، وَرُكُـوبِ آرَاءٍ ، قَـد تَكُـونُ وَبيلَـةَ العَاقبَـةِ عَلَـى أَصْـحابِهَا !

وَيُؤَكِّدُ صِحَّةَ النَّتيجةِ السَّابِقَةِ – وَهيَ اختِصَاصُ هَذهِ الصِّيغةِ مِنَ القَسَمِ (تَاللهِ) لِأداءِ هَذا الغَرضِ – ، هُوَ أنّنا لا نَجدُ فِي القُرآنِ الكَريمِ – عَلى كَثْرةِ القَسَم فِيهِ – صِيغةً أُخْرى فِي سِياقِ تَوْهينِ رَأْيٍ أو تَضْعيفِهِ ،كَمَا يَظْهَرُ ذَلكَ لِمَن تتبَّعَ أَقْسَام القُرآنِ الكَريمِ ، واسْتَقْرَأَهَا .

---

[1]) المصدر السابق ، ج 13 ، ص 53 .

[2]) علي الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، ج 2 ، ص 309 ، 310 .

المَطْلَبُ الثّالِثُ : القَسَم بِالتَّاءِ رِقَّةَ شُعورٍ وَتَّفَجُّعاً وَشَفَقَةً مِنْ المُقْسِمِ .

وَرَدَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ واحِدٍ مِن سُورَةِ يوسُفَ – عليه السلام – ، مِنْ قَوْلِ إِخْوَتِهِ لِأَبيهم يَعْقوبَ – عليه السلام – ، بَعْدَ أَنْ تَضاعَفَ الحُزْنُ عَلَيْهُ مِنْ فَقَدْ أَحَبُّ أَبْنَائَهُ إِلَى قَلْبِهِ .

يَقُولُ اللَّهُ – تَعَالَى – : ﴿ **قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ** ﴾ [يوسف : 85]

1– تحديد أركان القسم وعناصره :

نصّ الآية	الركن 1 : جملة القسم			الركن 2 : جملة جواب القسم	
	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	حرف توطئة القسم	المقسم عليه
تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ ...	محذوف وجوبا تقديره : أقسم	التّاء	لفظ الجلالة : " الله "	محذوف تقدير : لا	تفتؤ تذكر يوسف حتى ...

2– بيـــــان ســـــياق الآيـــــة :

جَاءَتِ الآيَةُ بَعْدَ أَنِ احْتَالَ يوسُفَ – عليه السلام – لِأَخْذِ أَخِيه بِنْيَامِين ، وَيَأْسِ إِخْوَتِهِ مِنِ اسْتِرْدادِهِ ، وَتَكْذيبِ أَبِيهم لَهُمْ فِي دَعْوَاهم أَنَّهُ سَرَقَ فَاسْتُرِقَّ ، ثُمَّ انْصِرافُهُ عَنْهُمْ لِلضَّرَاعَةِ وَالْتَبَتُّلِ لِلهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – بِأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهُ أَبْنَاءَهُ ، حَتَّى رَقَّ أَبْنَاؤُهُ لَهُ ، وَخَافُوا عَلَيْهُ وَأَشْفَقُوا ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ شَكْوَاه لِرَبِّهِ لَا لِمُجَرَّدِ تَجْديدِ الحُزْنِ ، وَأَنَّهُمْ دُونَ أَنْ يُعَلِّمُوهُ أَوْ يَلُومُوهُ [1] .

يَقُولُ اللهُ – تَعَالَى – : ﴿ **وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا**

[1]) ينظر : ابن عاشور ، التّحرير والتّنوير ، ج 13 ، ص 44 ، 45 .

تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف : 84 – 87] .

" تَفْتَأُ تَذْكُرُ يوسُفَ " ؛ أَيْ مَا تَفْتَأَ تَذْكُرُ يوسُفَ ، وَالمَعْنَى مَا تَزَالُ تَذْكُرُهُ ، جَاءَ فِي لِسانِ العَرَبِ : " مَا فَتِئْتُ وَمَا فَتَأْتُ أَذْكُرُهُ : لُغَتَانِ ، بِالْكَسْرِ والنَّصْبِ ؛ أَيْ مَا بَرِحْتُ وَمَا زِلْتُ ، لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي النَّفْيِ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِلَّا مَعَ الجَحْدِ ، فَإِنِ اسْتُعْمِلَ بِغَيْرِ " مَا " وَنَحْوِها فَهِيَ مَنوِيَّةٌ عَلَى حَسْبِ مَا تَجِيءُ عَلَيْهِ أَخَواتُها . قَالَ : وَرُبَّمَا حَذَفَتِ العَرَبُ حَرْفَ الجَحْدِ مِنْ هَذِهِ الأَلْفاظِ ، وَهُوَ مَنوِيٌّ ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿ **قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ** ... ﴾ [يوسُفُ : 85] ؛ أَيْ مَا تَفْتَأَ ... " [1].

وَ " حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا " ؛ أَيْ حَتَّى تَمْرَضَ وَتُقارِبَ الهَلاكَ ، جَاءَ فِي لِسانِ العَرَبِ : " ... وَرَجُلٌ حَرِضٌ وَحَرَضٌ ؛ أَيْ : فاسِدٌ مَرِيضٌ فِي بِنَائِهِ ، واحدُهُ وَجَمْعُهُ سَواءٌ ، وَحَرَضَهُ المَرَضُ وأَحْرَضَهُ : إِذَا أَشْفَى مِنْهُ عَلَى شَرَفِ المَوْتِ ، وأَحْرَضُ هوَ نَفْسُهُ كَذَلِكَ ... " [2] ، فَيَكُونُ المَعْنَى أَنَّهُمْ خَافُوا عَلَيْهُ مُقارَبَةَ الهَلَاكِ أَوْ الوُقوعَ فِيه .

أَمَّا جَوابُ القَسَم فَهُوَ " ... تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يوسُفَ " بِاعْتِبَارِ مَا بَعْدَهُ مِنْ الغايَةِ ، لِأَنَّ المَقْصودَ مِنْ هَذَا اليَمينِ الإِشْفاقُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ صَائِرٌ إِلَى الهَلاكِ بِسَبَبِ عَدَمِ تَناسيهِ مُصيبَةِ يوسُفَ – عليه السلام – ، وَلَيْسَ المَقْصودُ تَحْقيقَ أَنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ تَذَكُّرِ يوسُفَ " [3] .

3– بيان وجوه الرِّقة من الآية وسياقها :

وَقَدْ تَضَمَّنَ السِّيَاقُ جُمْلَةً مِنْ القَرائِنِ اللَّفْظِيَّةِ والْمَعْنَويَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى رِقَّةِ أَبْناءِ يَعْقوبَ – عليه السلام – لَهُ ، وَإِشْفاقُهُمْ عَلَيْهِ ، أُلَخِّصُها فِي النِّقاطِ الآتيَةِ :

---

[1]) ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1 ، ص 119 .

[2]) المصدر نفسه ، ج 7 ، ص 133 .

[3]) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 13 ، ص 44 .

أ – مَا رَأَوْهُ مِنْ شِدَّةِ حُزْنِ أَبِيهم حَتَّى انْكَفَأَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ ، وَهُوَ حَالٌ لَا يَرَى ابْنُ أَبَاه عَلَيْهُ إِلَّا رَقَّ لَهُ ، وَأَشْفَقَ عَلَيْهُ .

ب – خَشْيَتُهُمْ عَلَيْهِ المَرَضَ فِي جِسْمِهِ .

ج – خَشْيَتُهُمْ عَلَيْهُ الهَلاكَ . قال الآلوسي (ت : 1270 هـ) : " تَاللَّهِ تَفْتَؤُا ؛ أي : لا تفتأ ولا تزال تَذْكُرُ يُوسُفَ تفجّعا عليه " [1].

وَقَدْ نَاسَبَ ذَلِكَ مَجيءُ القَسَم بِهَذِهِ الصّورَةِ (تاللهِ) مَبْدوءًا بِالتَّاءِ ؛ إِذْ يُوحِي صَوْتُها بِالْرِقَّةِ والتَّحَنُّنِ والْإِشْفاقِ .

كَمَا أَنَّ المَقامَ لَمْ يَخْلُ مِنْ غَرابَةٍ داعية إلى التَّعجُّب ، وذَلكَ مِنْ وُجوهٍ عِدَّةٍ أَهَمُّها :

أ – ذِكْرَ أَبِيهِم ليُوسُفَ – عليه السلام – مَعَ طُولِ العَهْدِ .

ب – ذِكْرَ أَبِيهم ليوسُفَ – عليه السلام – دُونَ أَخَوَيْهِمْ ؛ الأَكْبَرِ وَبِنْيَامِينْ حَديثَي العَهْدِ بِالْفِراقِ .

وَلِأَجْلِ هَذِهِ الغَرابَةِ جَاءَتْ غَرابَةُ الأَلْفاظِ ، يَقُولُ ابْنُ أَبِي الأُصْبُعِ (ت : 656 هـ) [2]: " فَإِنَّهُ – سُبْحَانَهُ – أَتَى بِأَغْرَبَ أَلْفاظِ القَسَم بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَخَواتِها ، فَإِنَّ " واللهِ " وَ " بِاللهِ " أَكْثَرُ اسْتِعْمالًا وَأَعْرِفُ عِنْدَ الكافَّةِ مِنْ " تاللهِ " ، لَمَّا كَانَ الفِعْلُ الَّذِي جَاوَرَ القَسَم أَغْرَبَ الصّيَغِ الَّتِي فِي بابِهِ ، فَإِنَّ "كَانَ " وَأَخَواتُها أَكْثَرُ اسْتِعْمالًا مِنْ " تَفْتَأَ " ، وَأَعْرَفُ عِنْدَ الكافَّةِ ، وَلِذَلِكَ أَتَى بَعْدَهُمَا بِأَغْرَبِ أَلْفاظِ الهَلاكِ بِالنِّسْبَةِ ، وَهِيَ لَفْظَةُ " حَرَض " ، وَلَمَّا أَرَادَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالَ – فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ –: ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ** ... ﴾ [الأنعام : 109

---

[1]) محمود الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج 7 ، ص 39 .

[2]) هو عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (595 هـ – 654 هـ) : شاعر، من العلماء بالأدب ،مولده ووفاته بمصر. ينظر : يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، ج 7 ، (د ط) ، مصر ، (د ت) ، ص 37 .

] لَمّـــا كَانَـــتْ جَميـــعُ الأَلْفـــاظِ مُسْـــتَعْمَلَةً وَعَلَـــى هَـــذَا فَقِـــسْ " [1] .

وَمَعَ أَنَّ الأَمْثِلَةَ قَليلَةٌ فِي هَذَا الغَرَضِ ، فَإِنَّ وُضُوحَ هَذِهِ الآيَةِ فِي الرِّقَّةِ والْإِشْفاقِ كافيَةٌ – إِنْ شَاءَ اللَّـهُ تَعَـالَى – فِي إِثْبـاتِ ذَلِـكَ ، والتَّـدْليلِ عَلَيْـهِ .

[1]) ينظر : علي الحارثي ، أسلوب القسم في القرآن الكريم ، ج 2 ، ص 292 ، 293 ، 294 .

خلاصة المبحث

إنّ صوت التّاء في اللُّغة العربيّة له إيحاء خاص ، فهو يوحي بالتّسفيه أو التّضعيف أو الرّقة ، يُعرَف ذلك باستبطان هذا الصَّوت ، كما يُعرَف من دقائق استعمال العرب له كاستعمالهم في التأنيث والتلطّف ونحو ذلك .

ويأتي استعمال القرآن الكريم له متسقا مع ذلك الإيحاء تمام الاتساق ، حيث نجد القسَم بالتَّاء فيه لا يخرج عن تسفيهٍ لمعتقدٍ باطلٍ ، أو تضعيفا لرأيٍ مرذولٍ ، أو تعبيرا عن تفجعٍ ورقةِ شُعور .

كما إنَّنا لا نجد قسَما بغير التَّاء في تسفيهٍ أو تضعيفٍ أو رقةٍ .

الخـــــاتـمـــة

الخـــــــاتـــمـة

وقد تمخّض عن هذا البحث جملةٌ من النَّتائج والتَّوصيات ، ألخِّصها في نقاط على النَّحو الآتي :

أولا : النتائـــج .

– القسَم بالتَّاء هو : توكيد جملةٍ باستعمال صيغة القسَم " تالله " .

– القسَم بالتَّاء – نحويًّا – لا يختلف عن سائر القسم إلا باستعمال صيغة مخصوصة " تالله " .

– النُحاة الأوائل نصُّوا على إفادة التَّاء في القسم للتَّعجب ، واختصاصها بذلك ، وعـــــلَّلوا ذلك بندرة استعمالها .

– الاعتماد فقط على قول النُّحاة الأوائل وهو إفادة التَّاء للتَّعجُّب لا يُجيب عن إشكالية الدراسة .

– نظريَّة ابن جني – رحمــه الله – في الرَّبط بين صوت الحرف ودلالته في كتابه الخصائص هـــــي مفتاح الدراسة ، وقد أجابت عن الإشكالية فيما أحسِبُ .

– بعض البــحوث العلمية المعاصرة للأصوات العــربية ذهبت إلى صحة ما دندن حوله ابن جـــني – رحمه الله – .

– صرَّحت تلك الدراسات بأنَّ صوت التَّاء يوحي بالضَّعف أو الرِّقة أو السَّفاهة .

– استعمال العرب للتَّاء في التَّأنيث وضمائر المُخاطب ومنادة الأب والأم يُؤيِّد ذلك .

– استعمال القرآن الكريم لتاء القَسَم جاء متناسقا مع يوحي به صوتها في اللّغة ، فقد جاءت خمسة

مواضع لتسفيه عقائد المشركين ، وثلاثة مواضع تضعيفا لرأي وتوهينه ، وموضع واحد جـــــاء رقَّة شعور ، وشفقة من المقسم .

– ليس في القرآن الكريم قَسَمٌ واحدٌ بغير التَّاء في تسفيه اعتقادٍ باطلٍ أو تضعيف رأيٍ وتوهـــــينه أو رقَّة شُعور .

– هناك مناسبات لفظية وأخرى معنوية بين مواضع التَّسفيه الخمسة ، كمـــا نجد الأمـر نفسه بين مواضع التَّضعيف ، وهو ما يوحي بوجود علاقة ارتباط بينها جديرة بالبحث .

ثانيا : التَّوصيات .

– ممَّا هـــو جدير بالبحث والدِّراســـة : القَسَم بالتَّاء في كلام العرب شعرا ونثرا ؛ وأعـــني بهم من يُحتَج بكلامهم عند النُّحاة ، وأقترح أن يكـون الـعنوان : " **القسم بالتَّاء في كلام العرب دراسة بيانية** " ، وأحسِبُ أنَّ هذه الـدراسة – لو تـمَّت – لكانت إضافةً إلى هذه الدِّراسة ؛ إمَّا بالتَّأييد والتَّوطيد أو بالتَّخصيص والتَّقييد ، والله – تعالى – أعلى وأعلم .

وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين
نبيل جرادي

الفهارس العلميـة

فهرس الآيـــــات القرآنيـــــــة

رأس الآيـــــــــــة	السورة	رقم الآيـة	الصفحة
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ ... ﴾	آل عمران	187	11
﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾	المائدة	3	5
﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	الأنعام	23	22،20،10
﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾		30	21
﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾		109	66،22،14،13
﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ... ﴾		136	35
﴿ ...لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ ...﴾	الأعراف	18	13،11
﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ... ﴾	التَّوبـة	74	15
﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ... ﴾	يونس	5	20،10

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ ...﴾	هـود	119	11
﴿... أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴾	يوسف	70	54
﴿ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ ﴾		72	55
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾		73	54
﴿...فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾		74	56
﴿ ... جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ ... ﴾		75	56
﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ...﴾		87-84	63
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ... ﴾		85	64،63
﴿... إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴾		89	58
﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ ... ﴾		92-90	57
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾		91	59،57،20
﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا ... ﴾		95-93	60
﴿ ... إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ ... ﴾		94	61،60
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴾		95	61،60،59،20
﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾	الحجر	72	20،13،10

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا ... ﴾			35
﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ ...﴾	38		16،14
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ... ﴾	56–53		34
﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ ... ﴾	56		33
﴿... سُبۡحَٰنَهُۥ...﴾	57	النّحل	39
﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ... ﴾	62–57		39
﴿ ... أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾	59		40،39
﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾	60		39
﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ... ﴾	63		38
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ... ﴾	56–51	الأنبياء	42
﴿ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾	54		47،43
﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا ... ﴾	71	الحجّ	35
﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴾	87		48
﴿ ... إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾	97		52

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الشّعراء	98–87	72،45
﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾		98	52
﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ... ﴾	النّمل	49	6
﴿... لَا تُشْرِكْ ...﴾	لقمان	12	15
﴿... بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾		13–12	15
﴿ ... وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ... ﴾	فاطر	14	22
﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾	الصَّافات	3–1	48
﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ...﴾		55–1	49
﴿... أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ... ﴾		11	49
﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾		55	52،50
﴿ ... إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾		56	52
﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾		56	48
﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾		57	52
﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ ... ﴾	المنافقون	1	11
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ﴾	التّحريم	2–1	9
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾	عبس	2–1	31

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

طرف الحديـــــــــث أو الأثر	القائل	الصفحة
قال سليمان بن داوود : لأطوفنَّ	النَّبي – ﷺ –	12
من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت	النَّبي – ﷺ –	19
إِذْ أَنْتُمْ شَبَابٌ ، وَمَعَكُمْ جَهْلُ الشَّبَابِ	الحسن البصري	58
قَسِيمٌ وَسِيمٌ	أم معبد الخزاعية	7
مَا يَتَصَعَّدُنِي كَلامٌ كَمَا تَتَصَعَّدَنِي خُطْبَةُ النِّكاحِ	عمر بن الخطاب	30
وكيف لا يعجل عليَّ	عبد الملك بن مروان	30

فهرس الشَّواهد الشِّعرية

القافية	البحر	القائل	الصفحة
أَغاما	الوافر	عمر بن يربوع	18
رَبِيبُهَا	الطويل	العنبري	18
السّوانحِ	الطويل	ذو الرُّمَّة	17
سُودِ	الرَّجَز	ذو الرُّمَّة	17
الثَّريدُ	الوافر	لا يُعرف	17
البَشَرِ	البسيط	العرجي / مجنون ليلى	15
خبيرُ	الخفيف	عدي بن زيد	4
عَبوسِ	الكامل	الأشتر النخعي	11
صانعُ	الطويل	لبيد بن ربيعة	13
هابلُ	الطويل	لبيد بن ربيعة	5
القَسَام	الوافر	بشر بن أبي خازم	6
مُظلمُ	الطويل	المسيَّب بن علَس	19
أُبالي	الوافر	غُويَّة / عُويَّة بن سُلْمى	19

فهرس الأعلام*

العَلَم	موضع ذكره
إبراهيم بن عبد الله أبو إسحاق النّجيرمي	18
إبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي	19
إبراهيم بن عمر البقاعي	27
أحمد بن إدريس القَرافِي (م)	(9)
أحمد بن حاتم أبو نصر الباهلي	17
أحمد بن حنبل	13
أحمد بن علي القلقشندي	19
أحمد بن فارس (م)	(7)
أحمد اللّهيب	22،21،19،15،14،10
أحمد بن محمد أبو جعفر النَّحاس	18
أحمد بن محمد المرزوقي	12
أحمد بن يحيى المرتضى	27
إسماعيل بن حمّاد الجوهري	7،6،5،3
إسماعيل بن عمر ابن كثير	56
الأشتر النخعي	11
إميل بديع يعقوب	19
بِشْر بن أبي خازم (م)	(6)
الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي (م)	(8)

* العلامة (م) للعلَم المترجَم له ، والرقم بن قوسين لموضع ترجمته .

حسن عباس	29
الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله	11
الحسن بن قاسم المرادي (م)	15،16،(17)،
الحسين بن عبد الله الطِّيبي	27
الحسين بن مسعود البغوي (م)	(58)
الخليل بن أحمد الفراهيدي	13
خير الدين بن محمود الزركلي	34،35،43،48،55
سعيد بم مسعدة أبوالحسن الأخفش(م)	(17)،61
سيد قطب (م)	(49)،48
سعيد بن أوس أبو زيد الأنصاري	3
شوقي ضيف	4
عاتكة بنت خالد أم معبد الخزاعية (م)	(7)
عبد الحميد الفراهي (م)	(16)،2،6
عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي	16
عبد الحي الحسني	16
عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجي (م)	23،(22)
عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطي	3،4،11،28
عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة	12
عبد الرحمن بن خلدون	2
عبد العظيم بن الواحد ابن أبي الإصبع(م)	(65)
عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل (م)	29،30،(8)،5
عبد الله بن برِّي (م)	(4)

عبد الله بن مسلم بن قتيبة	17،6،5،4
عبد الملك بن مروان (م)	(31)
عثمان بن جني (م)	6،(29)
عدي بن زيد العبادي (م)	(4)
علي بن أحمد ابن حزم	16
علي بن محمد بن علي الجرجاني (م)	(9)
علي بن محمد بن بن محمد ابن الأثير	30،7
علي بن محمد الحارثي(م)	11)،68،63،60،59،57،56،54،49،42،24،12 1،(
علي بن يوسف القفطي	17،7،6
عمرو بن بحر الجاحظ	31،30،18
عمر بن الخطاب (م)	(31)
عمرو بن عثمان سيبويه (م)	(7)،28،19،18،17،13،8
عمر بن يربوع	18
العنبري	18
غُوَيَّة (أو عُوَيَّة) بن سُلْمى	19
غيلان بن عقبة ذو الرُّمة (م)	(17)
لبيد بن ربيعة (م)	14،(5)
محمد بن أبي بكر ابن القيم (م)	2،(16)
محمد بن أبي بكر عز الدين ابن جماعة الكناني	11
محمد بن أحمد شمس الدين الذّهبي	30
محمد بن إسماعيل البخاري	20

محمد بن جرير الطبري	60،58،40
محمد بن زياد ابن الأعرابي (م)	61،(4)
محمد بن عبد الرحمن السّخاوي	9
محمد بن عبد الله ابن مالك (م)	14،21،32،(10)
محمد بن عبدالله الحاكم	7
محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي	11
محمد بن علي الشوكاني (م)	37،(44)،62،61
محمد المبارك	28
محمد بن محمد حسن شُرَّاب	18،19
محمد بن محمد ابن الناظم (م)	31،(14)
محمد بن محمد أبو السّعود (م)	12،(56)
محمد بن مُكرّم ابن منظور(م)	4،5،6،7،18،19،31،66،(3)
محمد بن يعقوب الفيروزآبادي	4
محمد بن يوسف أبو حيان (م)	8،(16)،22،17
محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي(م)	34،(35)،41،36
محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور(م)	37،40،41،47،51،52،56،57،59،62،63،65،66،(36 35،17،2،)
محمود بن عمرو الزمخشري (م)	61،62،(8)
محمود بن عبد الله الآلوسي	38،65
المُسيِّب بن علَس	19
يعيش بن علي بن يعيش (م)	15،17،19،20،22،(6)
يوسف بن تغري بردي (م)	(65)

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)

ثانياً – الحديث

01- أحمد بن حنبل ، المسند ، دار الرسالة ، ط 1 ، بيروت ، 1421 هـ .

02- محمد بن إسماعيل البخاري ، المسند الصحيح ، دار طـــــوق النجاة ، ط 1 ، بيروت ، 1422 هـ .

03- محمد بن عبدالله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العـــلمية ، ط 1، بيروت ، 1411 هـ .

ثالثاً – الكتب :

04- إبراهيم بن عبد الله أبو إسحاق النّجيرمي ، أيمان العرب في الجاهلية ، المطبعـة السلفية ، (دط) ، القاهرة ، (دت) .

05- إبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي ، الدِّيباج المُذَهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دار التراث ، (دط) ، القاهرة ، (دت) .

06- إبراهيم بن عمر البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والســــــــور ، دار الكتاب الإسلامي ، ، (دط) ، القاهرة ، (دت) .

07- أحمد بن إدريس القَرافِي ، الفُروق ، دار السَّلام ، ط 1 ، القاهرة ، 1421 هـ .

08- أحمد بن حاتم أبو نصر الباهلي ، شرح ديوان ذي الرُّمَّة ، مؤسَّسة الإيمان ، ط1 ،جُـدَّة ، 1402 هـ .

09- أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العـلمية ، (دط) ، بيروت ، (دت) .

10- أحمد بن فارس،الصَّاحبي ، مكتبة عيسى البابي وشركاؤه ، (دط) ،القاهرة ، (دت) .

11- أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، دار الفكر ، (دط) ، دمشق ، 1399 هـ .

12- أحمد بن محمد المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ، دار الكتــب العلمية ، ط 1 ، بيروت ،

1424 هـ .

13- أحمد بن يحي المرتضى ، طبقات المعتزلة ، المطبعة الكـــــاثوليكية ، (دط) ، بيروت ، 1380 هـ .

14 – إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، صِحاح اللّغة وتاج العربية ، دار العــلم للملايين ، ط 2 ، بيروت ، 1399 هـ .

15- إسماعيل بن عمر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار طيبة ، ط 2 ، الريـــــــاض ، 1420 هـ .

16- إميل بديع يعقوب ، تحقيق شرح المفصَّل لابن يعيش ، دار الكتب العــلمية ، (دط) ، بيروت ، (دت) .

17- أيمن فؤاد سيِّد وآخرون ، دراسات عربية وإسلامية ، (دط) ، القاهرة ، 1403 هـ .

18- الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي ، الإيضـاح العضدي ،كلية الآداب ، ط 1 ، الرياض ، 1389 هـ .

19- حسن عباس ، خصائص الحروف العربية ومعانيها ، منشورات اتحاد الكتــاب العرب ، (دط) ، دمشق ، 1998م .

20- الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1413 هـ .

21- الحسين بن عبد الله الطِّيبي ، فتح الغيوب في الكشف عن قنـــــاع الريب ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، ط 1 ، الإمارات المتحدة ، 1434 هـ .

22- الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، دار طيبة ، ط 4 ، الرياض ، 1417 هـ .

23- خير الدين بن محمود الزركلي ، الأعلام ، دار العلـــــم للملايين ، ط 15 ، بيروت ، 2002 م.

24- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط 17 ، بيروت و القاهرة ، 1412 هـ .

25- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، ط 11، القاهرة ، (دت) .
26- عبد الحميد الفراهي ، إمعان في أقسام القرآن ، المطبعة الســـلفية ، (دط) ، القاهرة ، 1349 هـ .
27- عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهــب ، دار ابن كثير ، ط 1 ، دمشق وبيروت ، 1406 هـ .
28- عبد الحي الحسني ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، دار ابن حـــــزم ، ط 1 ، بيروت ، 1420 هـ .
29- عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجي ، الجمـــــــل في النَّحو ، الرِّسالة ، ط 1 ، الأردنُّ ، 1404 هـ .
30- عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجي ، اللَّامات ، دار الفكر، ط 2 ، دمشق ، 1405هـ.
31- عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطي ، بُغية الوعاة في طبقـــــات اللّغويين والنّحاة ، المكتبة العصرية ، (دط) ، بيروت ، (دت) .
32- عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطي ، طبقات المفســـرين ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1403 هـ .
33- عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي ، المُزْهِر في علـــوم اللُّغة وأنواعِها ، منشورات المكتبة العصرية (دط) ، بيروت ، 1406 هـ .
34- عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، دار يعرب ، ط 1 ، دمشق ، 1425 هـ .
35- عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل ، المساعـد على تسهيل الفوائد ، دار الفكر ، ط 1 ، دمشق ، 1400 هـ .
36- عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الشّعر والشّعراء ، دار المعارف ، ط 1 ، القاهرة ،(دت).
37- عثمان بن جني ، الخصائص ، دار الكتب المصرية (دط) ، القاهرة ، (دت) .
38- علي بن أحمد ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ،دار المعارف ، ط 5 ، القاهرة ،(دت).
39- علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، دار إحيـــــاء التراث العربي ، ط 1 ، بيروت ، 1415 هـ .

40- علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التّعريفات ،دار الفضيلة ، (دط)، القاهرة ،(دت).
41- علي بن محمد بن بن محمد ابن الأثير ، أُسْد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الكتـــــب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1415 هـ .
42- علي بن يوسف القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، دار الفـــــكر العربي ، ط 1 ، القاهرة ، 1406 هـ .
43- عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار ومكتبة الهلال ، (دط) ، بـــــــيروت ، 1423 هـ .
44- عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، بيروت ، 1424 هـ .
45- عمرو بن عثمان سيبويه ، الكتاب ، مكتبة الخانجي ، ط 3، القاهرة ، 1408 هـ .
46- لبيد بن ربيعة ، ديوان ، دار المعرفة ، ط 1 ، بيروت ، 1425 هـ .
47- محمد بن أبي بكر ابن القيم ، التبيان في أيمان القرآن ، دار عـــــالم الفوائد ، (دط) ، مكة ، (دت) .
48- محمد بن أحمد الذّهبي ، سير أعلام النّبلاء ، الرّسالة ، ط 3 ، بيروت ، 1405 هـ .
49- محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، دار هجر ، ط1 ، القاهـــرة ، 1422 هـ .
50- محمد بن عبد الرحمن السّخاوي ، الضّوء اللّامع في أعيان القرن التّاسع ، دار الجيـــل ، (دط) بيروت ، (دت) .
51- محمد بن عبد الله ابن مالك ، تسهيل الفوائد وتقريب المقاصد ، دار الكتاب العـــربي ، (دط) ، بيروت ، 1387 هـ .
52- محمد بن عبد الله ابن مالك ، شرح تسهيل الفوائد وتقريب المقاصد ، دار هجر ، ط 1 ، مصر ، 1410 هـ .
53- محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، دار ابن كثير ودار الكـــــلم الطيب ، ، ط 1 ، دمشق وبيروت ، 1414 هـ .
54- محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، ط 2 ، دمشق ، (دت) .

55- محمد بن محمد حسن شُرَّاب ، شرح الشّواهد الشّعرية في أمّات الكتـــــــب النّحوية ، مؤسسة الرِّسالة ، ط1 ، بيروت ، 1427 هـ .

56- محمد بن محمد ابن الناظم ، شرح ألفية ابن مالك ، دار الكتـــــــب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1420 هـ .

57- محمد بن محمد أبو السّعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتـــاب الكريم ، دار إحياء التّراث العربي، (دط) ، بيروت ، (دت) .

58- محمد بن مُكرّم ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ط 1، بيروت ، 1300 هـ .

59- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرســـالة ، ط 8 ، بيروت ، 1426 هـ .

60- محمد بن يوسف أبو حيان ، ارتشاف الضَّرَب من لســان العرب ، مكتبة الخانجي ، ط4 ، القاهرة ، 1418 هـ .

61- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضــاح القرآن بالقرآن ، دار الفكر ، (دط) ، بيروت ، 1415 هـ .

62- محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور ، التّحرير والتّنوير ، الـدار التونسية ، (دط) ، تونس ، 1984 هـ .

63- محمود بن عبد الله الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبـــع المثاني ، دار الكتب العلمية ، ج 7 ، ط 1 ، بيروت ، 1415 هـ .

64- محمود بن عمرو الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتــاب العربي ، ط 3 ، بيروت ، 1407 هـ .

65- محمود بن عمرو الزّمخشري ، المُفصَّل في صنعة الإعراب ، مكتبة الهـلال ، ط1، بيروت ، 1993 م .

66- يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل في صناعة الإعراب للزمخشري ، دار الطبـــاعة المنيرية ، (دط) ، مصر ، (دت) .

67- يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، (د ط) ، مصر ، (د ت) .

ثالثاً : رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه :

68- أحمد اللّهيب ، أساليبُ القَسَم والشَّرط في القرآن الكريم ، (أطروحة دكتوراه : دراســـة نحوية) ، كُليّة اللُّغة العربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة .

69- علي الحارثي ، أُسلوب القَسَم في القرآن الكريم ، (أطروحة ماجستير : دراســة بلاغيّة) ، قسم الدِّراسات العليا ، كُليّة اللُّغة العربية ، جامعة أمِّ القرى ، السُّعوديَّة .

فهرس الموضـــــوعات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
إهـــــــــداء	
شكر وتقديـــــر	
الملخَّص	
مقـدمـــة	أ
المبحث الأول : تعريف القسم وبناؤه النحوي	1
تمهيد	2
المطلب الأول : تعريف القسم وأنواعه ومرادفاته	3
الفرع الأول : تعريف القسم لغةً	3
الفرع الثاني : تعريف القسم اصطلاحاً	7
الفرع الثالث : أنواع القسم	9
الفرع الرابع : مصطلحات مرادفة للقسم	11
المطلب الثاني : البناء النَّحوي للقسم	13
الفرع الأول : جملة القسم	13
الفرع الثاني : جملة جواب القسم	20
خلاصة المبحث	25
المبحث الثّاني : معاني القسم بالتّاء في القرآن الكريم	26
تمهيد	27
المطلب الأول : القَسَم بِالتَّاءِ تَسْفيهًا لِمُعْتَقَداتِ المُشْرِكِينَ	32

الفرع الأول : تسفيه تقرب المشركين لأوثانهم بما رزقهم الله – تعالى	32
الفرع الثاني : تسفيه نسبة المشركين البنات لله – تعالى –	37
الفرع الثالث : تسفيه إبراهيم – عليه السلام – لأصنام قومه	41
الفرع الرابع : تسفيه أصحاب الجحيم لمعتقدهم بتسويتهم الأوثان بالله	44
الفرع الخامس : تسفيه صاحب الجنة لمعتقد قرينه المنكر للبعث	48
المطلب الثاني : القَسَم بِالتَّاءِ تَضْعيفًا لِرَأْيٍ وَتَوْهينِهِ	54
الفرع الأول: تَضْعيفُ إِخْوَةِ يوسُفَ – عليه السلام – لِرَأْيٍ مِنْ اتَّهَمَهُمْ بِالسَّرِقَةِ	54
الفرع الثاني : تَضْعيفُ رَأْيِهِمْ فِي أَخيهم يوسُفَ – عليه السلام – حِينَ كَادُوا لَهُ	57
الفرع الثالث : تَضْعيفُ إِخْوَةِ يوسُفَ لِرَأْيِ أَبِيهم يَعْقوبَ	59
المطلب الثالث : القَسَم بِالتَّاءِ رِقَّةَ شُعورٍ وَتَّفَجُّعاً وَشَفَقَةً مِنْ المُقْسِمِ	63
خلاصة المبحث	67
الخـــــــاتـــــمة	68
الفهـــــــارس العلميـــــــة	
فهرس الآيـــات القرآنيـــة	72
فهرس الأحاديـــــــــث النبوية والآثار	76
فهرس الشّواهد الشّعرية	77
فهرس الأعلام	78
قائمة المصادر والمراجع	82
فهرس الموضـــــــــوعات	88